خفارة الحج خلال طريق الحج الكوفي إلى مكة المكرمة

(٣٢٧- ٤٨١هـ/٩٣٨-١٠٨٨م)

د. هنية بهنوس نصر عبدربه

مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – كلية التربية – جامعة دمنهور

الملخص العربى:

جاء موضوع الدراسة متناولًا **خفارة الحج خلال طريق الحج الكوفي إلى مكة المكرمة(٣٢٧- ٤٨١هـ/ ٩٣٨-١٠٨٨م)**، والتي تحمل في مفهومها معنيان المعني الأول: وهو الحماية والحراسة لقوافل الحج كمهنة امتهنتها جماعات بعينها لتحقيق مكاسب مادية بطريقة غير مشروعة، والمعنى الثاني: وهو الإتاوة أو الضريبة التي كانت تجبى كرهًا من الحجاج نظير هذه الحماية والحراسة، وخفارة الحج أي حماية وحراسة الحجيج من هجمات واعتداءات قطاع الطرق من الأعراب والقرامطة على طول طريق الحج الكوفي من بغداد إلى مكة، وكانت في البداية تخضع لسلطة الخلافة العباسية، ثم ما لبثت أن ألقت بهذه المهمة على عاتق القرامطة منذ سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م، وذلك بعد أن أخفقت محاولات الخلافة في التصدي لهم باستخدام القوة العسكرية والحملات التأديبية؛ لذلك لجأت إلى تغيير تلك السياسة، واتباع سياسة سلمية لتأمين قوافل الحج وضمان سلامتهم، وقد وافق القرامطة على هذه المبادرة نظير جباية ضريبة الخفارة من الحجيج مقابل جوازهم بأمان تحت حمايتهم وحراستهم إلى مكة، وفي سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م بعد ضعف القرامطة وتردي أوضاعهم آلت مهمة خفارة الحاج إلى الأعراب وعلى رأسهم الأصيفر الأعرابي زعيم بني المنتفق بن عقيل، واستمرت ضريبة الخفارة تجبى من الحجاج حتى سنة ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م حيث أسقط السلطان السلجوقي ملكشاه رسم الخفارة الذي كان يجبى من الحجاج، وأعاد الأمن والنظام إلى طريق الحج.

وعلى هذا فقد تم تقسيم الدراسة إلى عدة محاور وهي: الخفارة لغة واصطلاحًا، منازل طريق الحج الكوفي، الخلافة العباسية وخفارة قوافل الحج قبل سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م ، القرامطة وجباية رسم خفارة الحج لأول مرة في التاريخ الإسلامي سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م، الأعراب وجباية رسم الخفارة من الحجيج منذ سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م حتى سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م، خفارة الحج بعد وفاة أبي النجم بدر بن حسنويه الكردي (٤٠٥- ٤٤٧هـ/ ١٠١٤-١٠٥٥م)، خفارة الحج منذ سنة٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م حتى إسقاط رسم الخفارة سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م، وقد اعتمدت الدراسة على منهج البحث التاريخي القائم على سرد ونقد وتحليل واستقراء الروايات التاريخية.

English Abstract:

The subject of the study dealt with the Hajj Khifarat during the Kufic pilgrimage route to Makkah Al-Mukarramah (327-481 AH/938-1088 AD),Which is intended to protect and guard the pilgrims' rides from the attacks and assaults of the Bedouins and Qarmatians, and was initially subject to the authority of the Abbasid Caliphate, Then it placed this task on the shoulders of the Qarmatians since the year 327 AH / 938 AD, after the attempts of the caliphate failed to confront them by using military force and disciplinary campaigns, so it resorted to changing that policy and adopting a peaceful policy to secure the Hajj convoys and ensure their safety, and the Qarmatians agreed to this initiative in return The custodian tax was collected from them in return for their safe passage under their protection and guard, and in the year 382 AH / 992 AD, after the weakness of the Qarmatians and the deterioration of their conditions, the task of the pilgrim custodianship went to the Bedouins, headed by the Al-Asafir Al-Arabi, the leader of Bani Al-Muntafiq bin Aqil, and the custodial tax continued to be collected from the pilgrims until the year 481 AH / 1088 AD, when it was dropped The Seljuk Sultan Malikshah appointed the watch that was levied on pilgrims, and restored security and order to the pilgrimage route.

Accordingly, the study has been divided into several axes, namely: the khafara language and idiomatically, the houses of the Kufic pilgrimage route, the Abbasid caliphate and the khafarat of the pilgrimage caravans before the year 327 AH / 938 AD, the Qarmatians and the collection of the pilgrim's khafarat for the first time in Islamic history in the year 327 AH / 938 AD, the Bedouins and the collection of the pilgrim's khafarat from the Hajj from the year 382 AH / 992 AD until the year 405 AH / 1014 AD, the Hajj khafarat after the death of Abu al-Najm Badr bin Hasnawayh al-Kurdi (405-447 AH / 1014-1055 AD), the Hajj khafarat from the year 447 AH / 1055 AD until the dropping of the khafarat fee in 481 AH/1088 AD, and it was adopted The study is based on the historical research method based on narration, criticism and analysis of historical events.

الكلمات المفتاحية: طريق الحج الكوفي، خفارة الحج، القرامطة، الأعراب، أمير الحج، والي الطريق، بني بويه، ملكشاه.

مقدمة:

على الرغم من اهتمام الخلفاء المسلمين بأمور الحج، وبذل الجهود المضنية في سبيل تسييره إلا أنه كانت هناك أسباب حالت دون أداء مناسك الحج بشكلٍ منتظم في فترات غير قليلة من التاريخ الإسلامي، سواء كانت عوامل سياسية أو اقتصادية أو طبيعية، ومن أبرزها ما قام به القرامطة والقبائل العربية على طول طريق الحج الكوفي البري إلى مكة من أعمال، قطع الطريق وسلب ونهب وقتل الحجاج، وذلك إبان ضعف الخلافة العباسية في عصرها المتأخر، ولا سيما خلال الفترة من (٣٢٧هـ/٩٣٨م إلى سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م)، وذلك في ظل سيطرة الأتراك(٢٣٢-٣٣٤هـ/٨٤٦-٩٤٥م)، ثم البويهيين(٣٣٤- ٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م)، ثم السلاجقة(٤٤٧-٥٩١هـ/ ١٠٥٥م-١١٩٤م)، حيث شهدت تلك الفترة التي شملت القرنين الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين فوضى سياسية غلبت على المسلمين .

ففي ظل ضعف الخلافة العباسية، وهيمنة تلك العناصر عليها قل الاهتمام والعناية بهذا الطريق، وسيطر القرامطة والأعراب على قوافل الحج، وفرضوا عليهم الإتاوات والضرائب التي كانت تُجبى منهم نظير حمايتهم والسماح لهم بالجواز إلى مكة لأداء مناسك الحج، وقد عُرفت هذه الضريبة بـ (الخفارة)، والتي كانت تجبى من الحجاج على مرأى ومسمع من الخلافة العباسية منذ سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م حتى سنة٤٨١هـ/ ١٠٨٨م حيث أصدر السلطان السلجوقي ملكشاه قراراً بإسقاط رسم الخفارة الذي كان يجبى من الحجاج وأعاد الأمن والنظام إلى طرق الحج.

وبذلك فقد تعرض طريق الحج الكوفي لكثير من الانتهاكات التي استمرت لفترات طويلة، والتي كانت بمثابة فترات مظلمة في التاريخ الإسلامي، فلم يكن يأمن أحد ممن يقصد أداء الفريضة على نفسه أو ماله من تعرض القرامطة والأعراب الذين فرضوا عليهم جباية الخفارة، أو من غدر الخفراء بعد دفع أموال الخفارة لهم، الأمر الذي دفعني إلى دراسة تلك العقبة كأحد معوقات الحج إلى مكة خلال طريق الحج الكوفي إلى مكة، حيث استغلت هذه الجماعات حالة الفوضى التي ألمت بالخلافة العباسية لتحقيق الأهداف والمكاسب الذاتية دون مراعاة لمصالح الأمة عامة، فرفعوا راية العصيان، وترصدوا قوافل الحجيج، وفرضوا عليهم رسم الخفارة.

وتهدف الدراسة إلى توضيح المقصود بخفارة الحج، ودواعي اللجوء إليها، ودور الخلافة العباسية أو السلطة الحاكمة في تحقيق أمن وسلامة الحجيج وحمايتهم منذ خروجهم من بغداد حتى عودهم، وبداية فرض رسم الخفارة لأول مرة على الحجاج على يد القرامطة، ومدى التزام القرامطة الشيعة بخفارة الحجيج وحمايتهم، وموقف رؤساء القبائل العربية القاطنة على طول الطريق من بغداد إلى مكة من جباية القرامطة لهذه الخفارة، ومعاناة الحجاج من المغالاة في فرض رسوم الخفارة مما كان سببًا في انقطاع الحج من ناحية العراق لفترات طويلة، وإسهامات بعض حكام الأقاليم في تسيير ركب الحج، والتكفل بدفع رسم الخفارة للأعراب في ظل تغاضي السلطة الحاكمة عن الأمر، ثم بداية الصحوة في العصر السلجوقي وإسقاط رسم الخفارة.

وقد ارتكزت الدراسة على منهج البحث التاريخي الذي يقوم على تحليل ونقد واستقراء الروايات التاريخية، وقد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى عدة محاور تناولت: الخفارة لغة واصطلاحًا، منازل طريق الحج الكوفي، الخلافة العباسية وخفارة قوافل الحج قبل سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م ، القرامطة وجباية رسم خفارة الحج لأول مرة في التاريخ الإسلامي سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م، الأعراب وجباية رسم الخفارة من الحجيج منذ سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م حتى سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م، خفارة الحج بعد وفاة أبي النجم بدر بن حسنويه الكردي (٤٠٥- ٤٤٧هـ/ ١٠١٤-١٠٥٥م)، خفارة الحج منذ سنة٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م حتى إسقاط رسم الخفارة سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م، وقد اختتمت الدراسة بخاتمة جاء فيها أهم نتائج الدراسة وأعقبتها بعدد من التوصيات والمقترحات ، ثم زيلت الدراسة بقائمة بمصادر ومراجع الدراسة.

أولا: الخفارة لغة واصطلاحًا:

الخفارة في اللغة، من خفر الرجل وخفر به وعليه يخفر خفراً: أجاره ومنعه وأمنه، وكان له خفيراً يمنعه، وخفرت الرجل: أجرته وحفظته، وخفرته: إذا كنت له خفيراً، أي حامياً وكفيلاً، والخفارة بضم الخاء المعجمة وكسرها وفتحها، وهي الذمة والعهد، والأمان، والحراسة، والخفير: الحارس، والخفارة حرفة الخفير، والخفارة أجرة الحارس، والخفير مفرد جمعها خفراء[1] ، وخفير القوم أي

(١) **المعجم الوسيط** (القاهرة: دار الفكر، د.ت)، ج١، باب الخاء، مادة (خ ف ر)، ص ٢٤٦، أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة** (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨م)، ج١، مادة (خ ف ر)، ص ٦٦٨-٦٦٩؛ **الموسوعة الفقهية**، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط٢ (الكويت: ذات السلاسل، ١٩٩٠م)، ج١٩: ص ٢١٥.

مجيرهم الذي يكونون في ضمانه ما داموا في بلاده، وتخفرت به أي استجرت به، والإخفار: انتهاك الذمة، يقال: أخفرت الرجل إذا نقضت عهده وذمامه، والهمزة فيه للإزالة، والخَفارة والخُفارة والخِفارة أيضاً: جُعْل الخفير [١].

وفي الاصطلاح، يشير مصطلح الخفارة إلى أفراد الحماية التي كانت ترافق القافلة، ويكون عدد الخفراء الذين يرافقون القوافل متغيرًا وفقًا لأهمية القافلة وقيمة التجارة التي تحملها [٢]، كما تستعمل الخفارة بمعنى المكس [٣] والجباية، وعلى ذلك فهي ضريبة أو مكس تؤخذ أو تجبى من أبناء السبيل (الماره) على الرؤوس والدواب والأحمال ونحو ذلك [٤]، والخفارة أيضًا أن يأتي الرجل إلى من له دار أو بستان أو تجارة فيقول له: "**أنت في خفرتي لا يتعرض أحد لمالك، أدفع من أرادك بسوء ولي في عنقك كل شهر كذا وكذا درهمًا، فيعطيه ذلك شائيًا وآبيًا**" [٥].

(١) **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، د.ت)، مج٤، فصل الخاء المعجمة، مادة(خفر)، ص ٢٥٣-٢٥٤.

(٢) عامر عجاج حميد، **القوافل بين أمل الوصول وخوق اللصوص**، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج٩، ع٢، (٢٠١٩)، ص ٣٧٢.

(٣) **المكس**: جمع مكوس، ومكسه يمكسه مكسًا، وهي الجباية، وكانت تجبى في الجاهلية من الباعة في الأسواق، ومن مرادفات المكس: العشور، الجباية، الضريبة، الخراج، وكانت المكوس في الدولة العباسية عبارة عن ضريبة تجبى من البضائع المنقولة من منطقة إلى أخرى برًا أو نهرًا داخل العراق، أو على البضائع المجلوبة من خارج البلاد، حيث كان يقوم بجبايتها مسؤول من بيت المال أو من ينوب عنه، حيث كانت إحدى موارد بيت المال. رينهارت بيتر آن دُوزِي، تكملة **المعاجم العربية**، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي (الجمهورية العراقية: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٠م)، ج١٠، مادة (مكس)، ص ٩٤؛ عبد الكريم جلول، "**نوازل المكس**"، المجلة العربية للنشر، ع٢٩(٢٠٢١)، ص ٣٢٦- ٣٢٧.

(٤) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ/١٣٢٧م). **كتاب السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**، (المملكة العربية السعودية: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٩٩٧م)، ص ٧٠

(٥) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ **الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري وصلة تاريخ الطبري** لعريب بن سعد القرطبي، ت: ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م.، ط٢ (بيروت: دار التراث، ١٩٦٧م)، ج٨: ص ٥٥١- ٥٥٢؛ مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت: ٤٢١هـ/١٠٣٠م)، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، تحقيق: أبو القاسم إمامي، ط٣(سروش- طهران: ٢٠٠٠م)، ج٤: ص ١٢٨- ١٢٩.

ويُستعمل لفظ البَذْرقة بمعنى الخفارة، وهي لفظة أعجمية معربة، فيقال: بعث العرب بذرقة مع القافلة، والبذرقة هي الخفارة للقافلة، بأن يرسل معها من يحميها ممن يؤذيها ويتعرض لها [١]، والخفير هو الذي يحفظ الحجاج ويحرسهم [٢]، كما وردت الخفارة بمعنى **الجعالة**، أي جُعل الخفير، وهو ما يعطى للخفير أجرًا على خفارته [٣]، والجعالة هي الأجر على الشيء [٤].

ولابد من التمييز في الخفارة المأجورة بين نوعين من الجُعالات:

أحدهما: جُعالة تعد رشوة أو هدية يقدمها قادة القوافل إلى القبائل التي تجيرهم عند مرورهم ببلادهم، وهي بذلك تدفع طواعية دون إكراه [٥].

والآخر: إتاوة [٦]، أو ضريبة يفرضها زعماء القبائل على القوافل، إذا ما عبرت أرضهم [٧].

(١) ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م) ، **تفسير القرآن العظيم**، المحقق: أسعد محمد الطيب، ط٣ (المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٩٩٨م) ، ج٥: ص ٤٣١؛ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت: ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م)، **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢ (القاهرة: دار الكتب المصرية ،١٩٦٤م)، ج٤: ص ١٥٨؛ **الموسوعة الفقهية**، ج١٩: ص ٢١٦.

(٢) الحطاب الرُّعيني، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي المالكي (ت: ٩٥٤هـ/١٥٤٧م). **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل**، ط٣ (د.م: دار ال، فكر، ١٩٩٢م)، ج٢: ص ٤٩٧.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، مج٤، فصل الخاء المعجمة، مادة (خفر)، ص ٢٥٣؛ عرفان محمد حمور. **مواسم العرب– المواسم الثقافية والتجارية والدينية والطبيعية** (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م)، ج١: ص ٤٦٦.

(٤) والجُعْل والجِعال والجَعِيلة والجُعالة والجِعالة والجَعالة، ما جعله له على عمله، والجَعالة، بالفتح تعني الرشوة. ابن منظور، لسان العرب، مج١١، فصل الجيم، مادة (جعل)، ص ١١١.ة

(٥) عرفان محمد حمور، **مواسم العرب**، ج١: ص ٤٦٧– ٤٦٨.

(٦) **إتاوة:** مادة (أ ت و)، مفرد، جمعها إتاوات وأتاوى، وهي جزية أو ضريبة تدفع لحاكم أو دولة ما كدليل على الخضوع أو كثمن للأمن، وهي ما يؤخذ بالإكراه، وهي رشوة، وضريبة باهظة يفرضها السادة الإقطاعيون على أتباعهم. أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية**، ج١: ص ٦٨.

(٧) عرفان محمد حمور، **مواسم العرب**، ج١: ص ٤٦٧– ٤٦٨.

وقد عرف العرب في الجاهلية الخفارة، حيث كانت بمثابة ضريبة حق المرور وجب دفعها إلى سادات القبائل العربية مقابل حماية القوافل، وضمان مرورها في أرضهم بأمان وسلام، وإلا تعرضت القوافل للنهب والسلب وتعرض أصحاب القافلة للخطر والهلاك (١).

ومجمل القول، فالخفارة هي حماية وحراسة لقوافل الحج مدفوعة الأجر، حيث يمنح الخفراء المقابل المادي نظير القيام بتلك المهمة، وهذا المقابل المادي أو الأجر يعرف بالخفارة أيضًا، وبالتالي فالخفارة كمصطلح تحمل معنيين المعنى الأول: الحماية والحراسة والمعنى الثاني: الضريبة أو الإتاوة التي تجبى نظير هذه الحماية، وقد مورست الخفارة منذ الجاهلية، وبالتالي فلم تكن أمراً غير مألوفًا على العرب المسلمين، وإنما غير المألوف والمستهجن هو جبايتها من حجاج بيت الله الحرام، والذي يعد من المستحدثات التي طرأت على الدولة الإسلامية بسبب حالة التشرذم والضعف التي كانت تمر بها خلال تلك الفترة موضوع الدراسة.

والخفارة المقصودة من البحث هي تلك الخفارة المأجورة غير المقننة التي لم تكن تابعة لأية جهة أو نظام، وليس لها ضوابط معينة تحكمها، والتي منحتها الخلافة العباسية في عصرها المتأخر للقرامطة ثم لرؤساء بعض القبائل العربية، حيث كانت تلك الخفارة المأجورة من نصيب من كانت له الغلبة على طرق الحج البرية من العراق ولا سيما طريق الحج الكوفي إلى مكة سواء كانوا من القرامطة أو سادة بعض القبائل العربية القاطنة على طول الطريق، وباتت خطرًا يهدد أمن وسلامة الحجيج فجاء هذا الموقف المتخاذل من قبل الخلافة العباسية كحل للأزمة، ولكن ما حدث كان الأسوأ، وسوف يتناول البحث أيضًا الخفارة من حيث كونها مهنة تقوم على الحماية والحراسة والتأمين لقوافل الحجيج، والخفارة كونها ضريبة أو إتاوة فُرِضت على الحجيج لضمان سلامتهم وأداء مناسك الحج بحرية وأمان.

(١) جواد علي، **المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط٤ (د.م، دار الساقي، ٢٠٠١م) ، ج٩: ص ٣١٣؛ عرفان محمد حمور، **مواسم العرب**، ج١: ص ٤٦٧– ٤٦٨.

ثانياً: منازل طريق الحج الكوفي:

كانت ركبان الحج تفد من الأمصار الإسلامية في اتجاهها إلى مكة تسلك أربعة طرق رئيسة تشق شبه الجزيرة العربية من شرقها وشمالها وجنوبها وغربها، وهذه الطرق هي نفسها على وجه التقريب طرق التجارة القديمة التي كانت معروفة لدى العرب في الجاهلية وسلكوها إلى مكة سواء للتجارة أو للحج، وفي الإسلام عرفت هذه الطرق بـ طريق الحج العراقي، وطريق الحج الشامي، وطريق الحج المصري وطريق الحج اليمني [١].

أما بالنسبة لطريق الحج العراقي فيسلك هذا الطريق جميع الحجاج القادمين من جهة العراق، وكانت طرق الحج العراقية عبارة عن طريقين أحدهما عُرف بـ **طريق الحج البصري** [٢]، والآخر **طريق الحج الكوفي**، ويُعد طريق الحج الكوفي هو الطريق الأهم والأبرز كونه كان ينطلق من بغداد عاصمة الخلافة العباسية، وقد لقي الاهتمام الأكبر من قبل الخلفاء العباسيين، ولقد وصف هذا الطريق عديد من الجغرافيين والرحالة، وذكروا منازله ومحطاته، ومن أهم منازل هذا الطريق بعد الخروج من بغداد مدينة السلام: القادسية – العذيب– مغيثة– القرعاء– واقصة– العقبة– القاع– زُبالة– الشقوق– البطان– الثعلبية– الخزيمية– الأجفر– فيد– توز– سميراء– الحاجر– النقرة– مغيثة الماوان– الربذة– السليلة– عمق– معدن بني سليم– الأفيعية– المسلح– غمرة– ذات عرق– بستان بني عامر– ثم ينتهي إلى مكة المكرمة، ويعرف هذا الطريق بطريق الجادة، ويعرف أيضًا بطريق العاصمة إلى مكة أو وطريق بغداد – مكة [٣]، كما اشتهر بطريق

---

(١) سليمان بن عبد الغني مالكي، "**طريق ركب الحج العراقي من الكوفة إلى مكة من الفتح الإسلامي حتى سقوط بغداد**"، مجلة الدارة. دارة الملك عبد العزيز، مج٩، ع٢ (١٩٨٣م)، ص ٩.

(٢) ويمر بشمال شرق الجزيرة العربية، ومن المحطات والمنازل المهمة التي يمر بها هذا الطريق: الحفير– الرحيل– الخرجاء– حفر أبي موسي – ماوية – العشر –الينسوعة– النباج– الصريف– العوسجة– القريتان– رامة – إمرة– طفخة– ضربة– جديلة فلجة – الدثينة– قبا– مران– وجرة– ذات عرف– بستان بني عامر – ثم مكة المكرمة. ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف (ت: ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م). **المسالك والممالك**، (بيروت: دار صادر أفست ليدن، ١٨٨٩ م)، ص ١٤٦– ١٤٧؛ يم السايح، جهود **الخلفاء العباسيين وأتباعهم**، ص ٨١٩.

(٣) للاستزادة راجع: ابن خرداذبة ، **المسالك والممالك**، ص ١٢٥– ١٢٦ ؛ الحربي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق، **كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة**، تحقيق: حمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة، ١٩٦٩م)، ص ٢٨٠– ٣٣٦؛ المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري (ت: ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م). **أحسن التقاسيم في معرفة**

زبيدة– نسبة إلى السيدة زبيدة بنت جعفر زوج الخليفة هارون الرشيد(١٧٠ –١٩٣هـ/٧٨٦–٨٠٩م) بسبب كثرة منجزاتها على طول هذا الطريق وما أنفقته من أموال في سبيل تحسينه والنهوض به[١].

وقد كان للخلفاء المسلمين وأتباعهم كثير من المنجزات وأنفقوا المبالغ الطائلة في سبيل خدمة طرق الحج العراقي ولا سيما طريق الحج الكوفي، والتي عنيت بنصيب كبير من الخدمات والعناية من الخلفاء وكبار موظفي الدولة من الأمراء والقادة وغيرهم ، وكان طول هذا الطريق وامتداده عبر صحراء قاحلة وجافة، مع ما يحدق به من مخاطر ومشاكل يتعرض لها سالكي هذا الطريق دافعًا لمزيد من اهتمام الخلفاء وأتباعهم بها، فقد حرص هؤلاء على تذليل الصعاب التي تواجه الحجاج، سواء العقبات الجغرافية ومحاولة التغلب عليها، وتمهيد الطرق، وإقامة المشاريع المائية وغيرها من الخدمات الأخرى[٢]، إلا أن ضعف الخلافة العباسية كان له أثره على طرق

الأقاليم (بيروت، دار صادر، د.ت)، ٢٥٠٢٥١ سليمان مالكي، **طريق ركب الحج العراقي**، ص ١٠– ١٤؛ عبد الله محمود حسين، "**طرق الحج عبر العصور**"، مجلة التضامن الإسلامي– الناشر وزارة الحج، س٤٩، ج١(١٩٩٣م) ٤٤؛ ريم بنت فهد السايح، "**جهود الخلفاء العباسيين وأتباعهم في خدمة طرق الحج العراقية وتطويرها (١٣٢– ٦٥٦هـ/ ٧٤٩– ١٢٥٨م**"، مجلة العلوم العربية والإنسانية – جامعة القصيم، مج١١، ع٢(٢٠١٧م) ص ٨١٨.

(١) ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي، (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م). **رحلة ابن جبير** (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، د.ت)، ص ١٨٥؛

Ella Landau Tasseron, *"Arabia,"* in the New Cambridge History of Islam: The Formation of the Islamic World Sixth to Eleventh Centuries. Edited by Chase F. Robinson. Vol.1(Cambridge: Cambridge University Press, 2011),442.

(٢) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج٨، ص١٣٦،ص ١٥٠، ص ١٦٢؛ ريم السايح، جهود **الخلفاء العباسيين وأتباعهم** ، ص ٨٢٠

Tayeb Elhibri, *"The Empire in Iraq, 763 –861,"* in The New Cambridge History of Islam: The Formation of the Islamic World Sixth to Eleventh Centuries, edited by Chase F. Robinson. Vol.1(Cambridge: Cambridge University Press, 2011),277–278؛ Tasseron, "*Arabia",* 442؛ Marcus Millwright, *"Archaeology and material culture*," in the New Cambridge History of Islam: The Formation of the Islamic World Sixth to

الحج العراقية ولا سيما طريق الحج الكوفي، حيث قام القرامطة[١] والقبائل العربية التي تقطن هذه الطرق بالاعتداء على الحجاج وفرض المكوس والاتاوات عليهم، وكان من أسباب اعتداءات الأعراب على قوافل الحج أن الخليفة المعتصم بالله العباسي (٢١٨-٢٢٧هـ/ ٧٣٣-٨٤١م) استكثر من الجند الترك على حساب العرب، وأصبح الترك هم صفوة جنده، وأسقط الأعطيات التي كانت تصرف للعرب من بيت مال المسلمين نظير مشاركتهم في الأعمال العسكرية والحربية، وفقد العرب بذلك كثير من امتيازاتهم المالية والاجتماعية والعسكرية، فلجأ كثير منهم إلى الصحراء وأطراف الحدود وقاموا بأعمال الاعتداءات وقطع الطرق[٢] والسلب والنهب لتحقيق المكاسب المالية،

Eleventh Centuries. Edited by Chase F. Robinson. Vol.1(Cambridge: Cambridge University Press, 2011), 669.

(١) **القرامطة:** هم فرقة من الشيعة الإسماعيلية الباطنية، وهي حركة كان ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب لمحمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي زين العابدين بن الحسين، لكن حقيقتها كانت الإلحاد والزندقة والإباحية والقضاء على الدولة الإسلامية، ومن بدعهم أنهم يقولون بتناسخ الأرواح أي أن الروح تنتقل بعد مفارقتها الجسد إلى جسد آخر ، ويدعون إلى مبدأ الاشتراكية في كل شيء من النساء والأموال، ومن بدعهم أيضًا إبطالهم الفرائض من صلاة وحج وغير ذلك، وإباحة المحرمات، وأن الصوم يومان في السنة يوم المهرجان ويوم النيروز، وأن الخمر حلال، وأن الغسل من الجنابة مثل الوضوء، وأن الحج والقبلة إلى بيت المقدس .

وينسب القرامطة إلى حمدان قرمط وكان أحد دعاة الباطنية في الكوفة سنة ٢٧٨هـ/٨٩١م، وقد تمكن القرامطة سنة ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م من إقامة دولة لهم في البحرين وجعلوا الإحساء قاعدة لهم، وذلك بزعامة أبي سعيد الجنابي، وقد قوي أمرهم في البحرين والتفت حولهم كثير من القبائل العربية، وصاروا جندًا لهم، وأرسلت الخلافة العباسية القوات لمحاربتهم، لكن باءت بالفشل، وقد استمر خطر القرامطة يهدد الخلافة العباسية، وانتشرت دعوتهم في كثير من أقاليم الخلافة، في البحرين والشام والعراق وبلاد المشرق. للمزيد راجع، مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٤، ص ٤٨٧- ٤٩١، ج٥، ص ٩؛ سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأُوغلي بن عبد الله (ت: ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦م)، **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، تحقيق وتعليق: زاهر إسحق وفادي المغربي وعمار ريحاوي (دمشق – سوريا: دار الرسالة العالمية، ٢٠١٣ م)، ج١٦: ص ١٤٩- ١٥٠

(٢) **قطع الطريق:** أخاف المارة فيه بالتلصص، وأيضًا هو سلب ونهب العابرين والمسافرين، ومنع المرور في الطريق، وقاطع الطريق هو لص يترقب المارة في الطريق ليأخذ منهم ما معهم بالإكراه. أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية**، ج٣: ص ٣٣٤، ص ٣٣٦.

وتعويض ما حُرموا منه من العطاء [١]، وقد ذكر المقدسي (ت: ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) أنه "**لا يمكن أن يعبر أحد هذا الطريق إلا بخفير أو قوة وترى الحاج مع قوتهم يهتكون وتؤخذ أباعرهم وخزائنهم**"[٢]، وهذا خير تأكيد على ما كان يعانيه الحجاج خلال عبورهم هذا الطريق، وبذلك فقد دفع الحجاج ثمن القرارات السياسية الخاطئة لبعض الخلفاء العباسيين، وهذا ما ستحاول الدراسة إماطة اللثام عنه.

ثالثًا: الخلافة العباسية وخفارة قوافل الحج قبل سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م:

كانت خفارة الحج منذ بداية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي هي مسئولية الخلافة العباسية، ويقصد بها تلك الخفارة المقننة، التي كانت تابعة وخاضعة للسلطة الحاكمة ولها ضوابطها وأصولها، حيث كانت خاضعة لسلطة الخليفة نفسه، فهو الذي كان يعين من يقوم بخفارة طريق الحج والذي عُرف في المصادر باسم والي الطريق، وهو منصب تم استحداثه منذ العصر العباسي الثاني(٢٣٢- ٦٥٦هـ/٨٤٦- ١٢٥٨م)، نتيجة لضعف الخلافة العباسية وإهمال العرب وإسقاطهم من العطاء والاعتماد على الأتراك، فأصبحت أغلب الولايات غير مستقرة وقد انعكس ذلك على طريق الحج، حيث قام أبناء القبائل العربية بقطع الطريق والاعتداء على الحجيج خلال الموسم، فأصبح الموسم فرصة أمام المتمردين من أبناء القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية للسيطرة على طريق الكوفة إلى مكة للحصول على الأموال، مما جعل الخلافة العباسية تعمل على تعيين والي على طريق الكوفة الذي يخرج من العاصمة بغداد إلى مكة المكرمة، ومن مهامه الرئيسة توفير الأمن والاستقرار في منازل الطريق أثناء الموسم، وكان يتقدم ركب الحج لتأمين الطريق

---

(١) الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت: ٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، كتاب **الولاة وكتاب القضاة**، تهذيب وتصحيح فت كست (د.م: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨م)، ص١٩٢- ١٩٣؛ سليمان مالكي، **طريق ركب الحج العراقي**، ص١٨؛ إبراهيم علي السيد القلا، "**بنو الجراح في فلسطين خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين= العاشر والحادي عشر الميلاديين**"، مجلة المؤرخ العربي- اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، ع ١٥ (٢٠٠٧م)، ص ١٧٠؛ نزار عزيز حبيب الخاقاني، **الإجراءات الأمنية للخلافة العباسية لتأمين طريق العاصمة مكة المكرمة ١٣٢- 334هـ**، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية-جامعة البصرة – كلية التربية للعلوم الإنسانية، مج ٤١ ، ع ١، ٢٠١٦م، ص ١٠٠.

(٢) **أحسن التقاسيم** ، ص ٢٥٢.

أمامهم من المخاوف والأخطار المحدقة بهم، وكانت هذه المهمة تسند إلى والي الكوفة أو والي الحرمين[١].

فكان ولاة الطريق هم الخفراء المكلفون من قبل الخلافة العباسية بحماية وحراسة الحجيج، وعينت في ذلك المنصب عدد من كبار القادة والأمراء الذين تصدوا للأعراب وضربوا على أيديهم وشنوا الغارات التأديبية عليهم، كما أنهم خاضوا المعارك مع القرامطة عندما كانوا يتعرضون للحجيج، ومن أبرز هؤلاء **جعفر بن دينار** الذي ولي طريق مكة وأحداث الموسم سنة (٢٣٩-٢٤٤هـ/٨٥٣-٨٥٨م) من قبل الخليفة العباسي المتوكل(٢٣٢- ٢٤٧هـ/٨٤٦- ٨٦١م)، وكان يصحب الحجيج لحمايتهم خلال الطريق من بغداد إلى مكة[٢]، و**محمد بن عبد الله القمي** أحد القادة العباسيين الذين عهدت إليهم الخلافة العباسية بتولي خفارة الحجيج في كثير من السنوات، وقد توفي سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م[٣]، وفي خلافة المعتمد بالله العباسي(٢٥٦- ٢٧٩هـ/ ٨٧٠-

(١) الكندي، **الولاة والقضاة**، ص١٩٢- ١٩٣؛ الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج٩: ص ٢٠٩؛ القرطبي، **صلة تاريخ الطبري**، ج١١: ص ٥٦؛ نزار الخاقاني، **الإجراءات الأمنية**، ص ١٠٢.

(٢) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج٩، ص ٢٠٩؛ **ابن الأثير**، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، (ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، **الكامل في التاريخ**. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م)، ج٦، ص ١٤٨، ص ١٥٤؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨ / ١٤٠٥- ١٤٠٦م)، **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل حشاده، مراجعة: سهيل زكار (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٨١م)، ج٣: ص ٣٤٨- ٣٤٩.

(٣) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت:٨٧٤هـ /١٤٧٠م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م)، ج٢: ص ٢٩٧، خير الدين بن محمود الزركلي، الأعلام، ط١٥ (بيروت: دار العلم للملايين،٢٠٠٢ م)، ج٦: ص ٢٢٢.

٨٩٢م) عقد لأخيه وولي عهده الأمير **الموفق بالله**[١] على الكوفة وطريق مكة والحرمين سنة ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م[٢].

وفي خلافة المقتدر بالله العباسي(٢٩٥- ٣٢٠هـ/ ٩٠٧- ٩٣٢م) كان يصرف في كل سنة في طريق مكة والحرمين ثلاثمائة ألف دينار ونيفًا وخمسة عشر ألف دينار لتسيير الحجيج وحفظ الطريق، ورغم ذلك فلم يسلم ركب الحج من هجمات الأعراب من البدو على قوافل الحجاج التي كانت تعبر صحراء شبه الجزيرة العربية من العراق إلى مكة والمدينة[٣]؛ ولذلك قام سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م بتعيين أحد القادة أميرًا على الكوفة وطريق مكة، وهو **ورقاء بن محمد بن ورقاء بن محمد بن ورقاء الشيباني**؛ للقيام بحفظ الحجيج وتأمينهم، فقام بذلك خير قيام فحجوا وعادوا سالمين، حيث تصدى للأعراب الذين كانوا يترصدون الحجيج في الطريق[٤]، وفي سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م أسند ولاية طريق مكة والكوفة إلى الأمير الحمداني **أبو الهيجاء عبد الله بن أبي**

(١) هو محمد بن جعفر المتوكل على الله، ويكنى أبو أحمد، ويلقب بالموفق بالله، ولد سنة ٢٢٧هـ/٨٤١م، عقد له أخوه المعتمد على الله بولاية العهد بعد ابنه جعفر، ولكن الموفق مات قبل أخيه المعتمد بسنة وأشهر سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م، وقيل اسمه طلحة. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م)، ج١٢: ص ٣٠٣.

(٢) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج٩، ص ٤٧٦

(٣) القرطبي، **صلة تاريخ الطبري**، ج١١، ص ٥٣؛ ابن دحية الكلبي، أبي الخطاب عمر بن أبي علي حسن بن علي، (ت: ٦٣٣هـ/١٢٣٥م)، **النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس**، صححه وعلق عليه: عباس العزاوي، (بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٤٦م)، ص ١١٢؛ النجم الدين عمر بن فهد، محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمي المكي (ت: ٨٨٥هـ/١٤٨٠م)، **اتحاف الورى بأخبار أم القرى**، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ط٣ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠٥م)، ج٢: ص ٣٦٦.

(٤) القرطبي، **صلة تاريخ الطبري**، ج١١: ص ٥٦؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٣: ص ١٢٤، ص ١٥٤.

بكر بن حمدان[١]خلفًا لورقاء الشيباني[٢]، وكان المكلف من قبل الخلافة العباسية بحماية طريق مكة وخفارة الحاج وضمان أمنهم وسلامتهم، وقد استمر حتى سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م حيث تعرض للأسر ومعه عدد من الحجيج على يد القرامطة إثر هجومهم على ركب الحجيج حين عودهم من مكة بعد انقضاء الحج سنة ٣١١هـ / ٩٢٣م[٣]، فعهد المقتدر بولاية طريق الكوفة إلى مكة إلى الأمير **جعفر بن ورقاء الشيباني**[٤]، ولكن في سنة ٣١٣هـ/ ٩٢٥م[٥] اعترض القرامطة ركب

(١) **الأمير أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان**، استعمله الخليفة المكتفي سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م على الموصل وأعمالها، وقلده الحليفة المقتدر ولاية طريق خراسان، وقُتل سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م، ومن أولاده ناصر الدولة الحمداني مؤسس الإمارة الحمدانية في الموصل، وسيف الدولة الحمداني مؤسس الإمارة الحمدانية في حلب. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري (ت: ٧٣٣هـ/١٣٣٢م). **نهاية الأرب في فنون الأدب** (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٢م)، ج٢٦: ص ١٢٤– ١٢٨.

(٢) عريب بن سعد القرطبي، **صلة تاريخ الطبري**، ج١١، ص ٢١٨؛ سامي الصقار، "**درب زبيدة أبرز طرق الحج في التاريخ**" (٢)، مجلة هدي الإسلام، مج ٥٠، ع ١٠، (٢٠٠٧م)، ص ٧٩؛ نزار الخاقاني، **الإجراءات الأمنية، ص** ١٠٣.

(٣) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، ج١٦: ص ٥٠٨؛ ابن خلدون ، **تاريخ ابن خلدون** ، ج٤: ص ١٢٩؛ النجم عمر بن فهد، **اتحاف الورى**، ج٢: ص ٣٦٩؛ جواد كاظم وانتصار العواد جواد كاظم النصر الله وانتصار عدنان العواد، "**معوقات الحج إلى بيت الله الحرام في العصور الإسلامية**"، مجلة كلية التربية – جامعة واسط، ع٢٨، ص ٢٩٦.

Hugh Kennedy, *"**The Late Abbasid Pattern, 945– 1050**,"* in The New Cambridge History of Islam: The Formation of the Islamic World Sixth to Eleventh Centuries, edited by Chase F. Robinson. vol.1, (Cambridge: Cambridge University Press, 2011),383.

(٤) هو **جعفر بن محمد بن ورقاء بن محمد بن ورقاء الشيباني**، ولد بسامراء سنة ٢٩٢هـ/٩٠٤م، وتوفي سنة ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م، وكان المقتدر يجريه مجرى بني حمدان، وقد قلده على أعمال الكوفة وطريق مكة، وسار لخفارة الحج ومعه ألف رجل من بني شيبان. النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٥، ص ٢٨٥– ٢٨٦؛ ابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون الملقب بصلاح الدين (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، **فوات الوفيات**، المحقق: إحسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٩٧٣م)، ج١: ص ٥٩٥؛ الزركلي، **الأعلام**، ج٢: ص ١٢٨.

(٥) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٣: ص ٢٤٨؛

Tasseron, *"**Arabia**",444*

الحجيج في طريقهم من بغداد إلى مكة عند زبالة[١]، وكانوا في خفارة الأمير جعفر بن ورقاء الشيباني والي الطريق فقاتلهم جعفر بن ورقاء وكان معه ألف فارس من بني شيبان[٢]، ولكن القرامطة هزموه ومن معه من الحامية العسكرية المصاحبة له من قبل الخلافة العباسية، ووقع الحاج في براثن القرامطة، "**وفرض القرامطة على الحجاج قطيعة**" أخذوها منهم، نظير إخلاء سبيلهم والسماح لهم بالجواز إلى مكة، فدفع لهم الحجيج فكفوا عنهم، وساروا إلى مكة دون أن يتعرضوا للأذى [٣].

وبذلك فقد لعب الأعراب والقرامطة دوراً سلبياً كبيراً خلال موسم الحج بشكل عام سواء في مكة أو في طريقهم من بغداد إليها أو أثناء عودتهم منها، إذ كانوا يهاجمون الحجاج ويسلبون أموالهم ويقتلونهم ويسبون نساءهم [٤]، وبذلك يتضح أن مهمة والي الطريق والحامية العسكرية التي كانت ترافق ركب الحجيج أثناء الموسم؛ للحفاظ على سلامتهم من الاعتداءات، وحفظ الأمن خلال الطريق لم تُجدِ نفعًا أمام تزايد الاعتداءات وقطع الطريق والقتل والسلب الذي تعرض له ركب

---

(١) **زُبالَةُ:** بضم أوّله، منزل معروف بطريق مكة من الكوفة، وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي، (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، **معجم البلدان**. ط٢(بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م)، ج٣: ص ١٢٩.

(٢) القرطبي، **صلة تاريخ الطبري**، ج١١: ص ١٠٧؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٣: ص ٢٤٨

(٣) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج١٦: ص ٥٠٨؛ ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون** ج٤: ص ١٢٩؛ النجم عمر بن فهد، **اتحاف الورى**، ج٢: ص ٣٧١؛ جواد كاظم وانتصار العواد، **معوقات الحج إلى بيت الله**، ص٢٩٦-٢٩٧؛ نزار الخاقاني، **الإجراءات الأمنية**، ص ١٠٤.

(٤) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١٠، ص١٥٠- ١٥١؛ القرطبي، **صلة تاريخ الطبري**، ج١١، ص ٥٣، ص ١٠٣؛ النجم الدين عمر بن فهد، **اتحاف الورى**، ج٢: ص ٢٥٩؛ جواد كاظم النصر الله وانتصار عدنان العواد، "**معوقات الحج إلى بيت الله الحرام** "، ص ٢٩٦.؛ عامر عجاج حميد، "**القوافل بين أمل الوصول وخوف اللصوص**"، ص ٣٧٢.

R. Stephen Humphreys, "***Syria,***" in The New Cambridge History of Islam: The Formation of the Islamic World Sixth to Eleventh Centuries. Edited by Chase F. Robinson. Vol.1(Cambridge: Cambridge University Press, 2011),536.

طريق الكوفة إلى مكة؛ لذلك قامت الخلافة بإرسال الحملات العسكرية التأديبية لوقف اعتداءات الأعراب [١] والقرامطة على ركب الحجيج [٢].

فلم تقف الخلافة العباسية مكتوفة الأيدي أمام ما واجهته قوافل الحجيج من اعتداءات من قِبل القرامطة ، وإنما كانت تُرسل في أثرهم الجيوش لتأديبهم وتوجيه الضربات لقمع شرورهم، لكنهم ما يلبثوا أن يجمعوا شتاتهم ويعودون لممارسة اعتداءاتهم على الحجيج بطريقة أسوأ من ذي قبل، فكان نتيجة لكثرة اعتداءات القرامطة على ركب الحجيج أن انقطع ركب الحج من جهة العراق والمشرق لعدة سنوات، وكان أشد تلك الاعتداءات شرًا وهمجية ما قام به أبو طاهر سليمان القرمطي[٣] في سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩م حيث هاجم مكة يوم التروية، وأسرف في قتل الحجيج ودخل المسجد الحرام، ونهبهم وقلع الحجر الأسود من مكانه، ونقله إلى عاصمته [٤]؛ لذلك انقطعت قوافل الحج من ناحية العراق والمناطق الشرقية خلال الفترة من ٣١٧/ ٩٢٩م إلى سنة ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م خوفاً من القرامطة الذين قطعوا طرق القوافل، باستثناء سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م حيث خرج

---

(١) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١٠: ص١٣٧.

(٢) القرطبي، **صلة تاريخ الطبري**، ج١١: ص٢٤٢– ٢٤٣؛ النجم الدين عمر بن فهد، **اتحاف الورى**، ج٢: ص ٢٥٩؛ جواد كاظم النصر الله وانتصار عدنان العواد، "**معوقات الحج إلى بيت الله الحرام** "، ص ٢٩٦.؛ عامر عجاج حميد، "**القوافل بين امل الوصول وخوف اللصوص**"، ص ٣٧٢؛

R. Stephen Humphreys, "***Syria,***" in The New Cambridge History of Islam: The Formation of the Islamic World Sixth to Eleventh Centuries. Edited by Chase F. Robinson. Vol.1(Cambridge: Cambridge University Press, 2011),536.

(٣) **هو أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي الهجري**، تولى زعامة القرامطة سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٧م بعد خلع أخيه سعيد الذي تولى بعد مقتل والده سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م، واستمر أبو طاهر في زعامة القرامطة حتى وفاته بالجدري سنة ٣٣١هـ/ ٩٤٢م. الذهبي، شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م). **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**. تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف (د.م: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣ **م)**، ج٢٥: ص١٣؛ الزركلي، **الأعلام**، ج٢٣: ص ١٢٢– ١٢٣.

(٤) ابن دحية الكلبي، **النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس**، ص ١٠٧– ١٠٨؛ تاريخ **ابن خلدون**، ج٤: ص ١٢٩؛ النجم عمر بن فهد، **اتحاف الورى**، ج٢: ص ٣٧٥؛ ابن عبد الملك، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي، (ت: ١١١١هـ/١٦٩٩م)، سمط **النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م)، ج٤: ص ٢٠٨– ٢٠٩؛ جواد كاظم وانتصار العواد، **معوقات الحج إلى بيت الله**، ص ٣٩٧.

جماعة وحجوا وعادوا سالمين، وسنة ٣٢٠هـ /٩٣٢م حيث لم يخرج فيها إلا نفر يسير رجالة[١] خوفاً من أبو طاهر القرمطي [٢].

يتضح بذلك أن خفارة كانت مسئولية السلطة الحاكمة، التي كانت ترسل مع الحجاج قوات من العسكر لحماية الحجيج وخفارتهم، كما كان يصحب الحجيج أيضاً والي الطريق الذي كان يتقدم الركب لتأمين الطريق أمامهم، فكانت دار الخلافة تتكفل بتسيير الحاج كواجب منوط بهم دون فرض ضرائب عليهم، حيث إن خفارة الحج في ذلك الوقت لم تكن تعني تلك الخفارة المأجورة نظير جُعل أو إتاوة.

رابعًا: القرامطة وجباية رسم خفارة الحج لأول مرة في التاريخ الإسلامي سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م:

نظرًا لكثرة هجمات واعتداءات القرامطة على قوافل الحج، وضعف قدرة الخلافة العباسية على مواجهتهم، فقد أصبحوا شوكة في ظهر الخلافة العباسية لابد من استئصالها أو التأقلم مع وجودها؛ لذا فقد فكرت الخلافة العباسية في تغيير سياستها في التعامل مع القرامطة، حيث لجأت إلى الحلول السلمية لتأمين السلام والحماية للحجيج بوسائل أخرى، فقد جرت مفاوضات لعقد هدنة بين القرامطة والخلافة العباسية سنة ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م لإعادة تسيير ركب الحج من بغداد إلى مكة بأمان بعد انقطاعه منذ سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م ، وتم التوصل إلى اتفاق بين أبي طاهر القرمطي وبين الخلافة العباسية عبر جهود الشريف العلوي أبو علي عمر بن يحيى[٣] الذي كاتب أبو طاهر القرمطي، وسأله أن يأذن للحجيج ليسير بهم إلى مكة دون أن يتعرض لهم – وكان أبو طاهر يعظمه لدينه وورعه– وذلك مقابل مكس أو جزية سنوية يأخذها من دار الخلافة تبلغ ١٢٠,٠٠٠

(١) مادة (ر ج ل)، مفرد راجل، وهو الماشي على قدميه. أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية**، ج٢: ص ٨٦٥.

(٢) ابن الجوزي، **المنتظم** ج١٣: ص ٣٠٥؛ النجم عمر بن فهد، **اتحاف الورى**، ج٢: ص ٣٨١.

(٣) هو الشريف العلوي أبو علي عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب من أهل الكوفة، وكان صديق لزعيم القرامطة أبو طاهر سليمان القرمطي. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٣: ص ٣٧٨؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١١: ص ٢١٥؛ النجم عمر بن فهد، اتحاف **الورى**، ج٢: ص٣٨٧-٣٨٨.

دينار، وفيما يخص قوافل الحجاج يكون لهم على كل جمل خمسة دنانير، وعلى المحمل[١] سبعة دنانير، فوافق القرامطة على هذه المبادرة[٢] ، وقد عُرف هذا المكس باسم (الخفارة) [٣] ، وتعهد القرامطة بموجب هذا الاتفاق بحماية الحجيج نظير الخفارة المتفق عليها، ومنحه أبو طاهر القرمطي عهد أمان مكتوب بذلك ؛ ليتمكن من المرور ، وخرج الناس للحج على هذا الشرط[٤]، " **وهي أول سنة مكس فيها الحاج**"[٥]، "**وأخذ مكس من الحاج ولم يعهد بمثله في الإسلام**"[٦] .

وبذلك فإذا كانت الخلافة قبل ذلك تدين اعتداءات القرامطة على الحجيج، وتسير الجيوش لتأديبهم للحد من ممارساتهم تجاه الحجاج، فيتضح أن هذا التوجه من قبل الخلافة قد تغير حيث كانوا يعودون أكثر قوة في كل مرة؛ لذلك لجأت الخلافة إلى مصالحتهم، ولكن كان ذلك على حساب الحجيج الذين دفعوا ثمن هذه السياسة، حيث اعترفت الخلافة بمقتضى هذه المبادرة بشرعية الخفارة التي كان يجبيها القرامطة. كما عهدت إليهم دولة الخلافة بحماية وحراسة الحجيج وعدم التعرض لهم بعدما كانت مسؤولية الدولة هي الزود عن الحجيج وتأمينهم، حيث منحت القرامطة قوافل الحج كإقطاع لهم يحققون من خلاله مكاسب اقتصادية، ولا شك أن ذلك الإجراء كان بمثابة وصمة عار في جبين الخلافة العباسية آنذاك.

---

(١) مادة (ح م ل)، جمع محامل، وهو ما يُنقل أو يُحمل فيه الشيء، وهو الهودج أيضًا. أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية**، مج١: ص ٥٦٥.

(٢) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٣: ص ٣٧٨؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١١: ص ٢١٥؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد العَكري أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) ، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط (دمشق – بيروت الناشر: دار ابن كثير١٩٨٦م) ، ج٤: ص ١٣٩؛ النجم عمر بن فهد، اتحاف **الورى**، ج٢: ص٣٨٧–٣٨٨؛ عمر علي – دي – أُونثاغا، **قلاع العقل**، ص٢٤٥.

Tasseron, *"**Arabia**",444*

(٣) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٣: ص ٣٧٨؛ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١١: ص ٢١٥؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات **الذهب**، ج٤: ص ١٣٩.

(٤) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٣: ص ٣٧٨؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١١: ص ٢١٥؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات ، ج٤: ص ١٣٩؛ النجم عمر بن فهد، اتحاف **الورى**، ج٢: ص٣٨٧–٣٨٨؛ عمر علي – دي – أُونثاغا، **قلاع العقل**، ص٢٤٥.

(٥) النجم عمر بن فهد، **اتحاف الورى**، ج٢: ص٣٨٧–٣٨٨.

(٦) **تاريخ بن خلدون**، ج٤: ص ١٢٩؛ ابن عبد الملك، **سمط النجوم العوالي**، ج٤: ص ٢٠٩.

كما أصبح القرامطة المخالفون للخلافة العباسية في المعتقد، ولا يعترفون بشرعية بالخليفة العباسي، ولا يعترفون بالحج ويعتبرونه من أعمال الجاهلية [١] هم الخفراء والحماة للحج، والمتكفلون بتسيير الحجيج والحريصون على انتظام خروج القوافل، وذلك يؤكد أن الخلاف مع الخلافة العباسية لم يكن خلافاً عقائدياً أو فكرياً، وإن ما يحركهم هو تحقيق المكاسب الاقتصادية مهما اختلفت المعتقدات.

وبمقتضى هذه المبادرة خرجت من العراق فرقتان، فرقة سلكت طريق الكوفة، والأخرى سلكت طريق البصرة، فأخذ أبو طاهر القرمطي من كل محمل عشرين دينارًا – على غير المتفق عليه آنفًا– ومن كل جمل خمسة دنانير، ومن كل راحلة[٢] عشرين درهمًا، وقد سار ركب الحاج وليس معهم أحد من أصحاب الخليفة، بصحبة أبو علي عمر بن يحيى العلوي من الكوفة أميرًا على الحج، ومعه كتاب أبو طاهر القرمطي إليه وأمانه، فحجوا وعادوا سالمين، وكان في جملة من خرج أحد الأئمة الشافعية الشيخ أبو علي بن أبي هريرة ، فلما اجتاز بالقرامطة على طريق الحج من بغداد إلى مكة طالبوه بدفع رسم الخفارة، ولكنه أبى أن يدفع وآثر الرجوع وقال :" **ما رجعت شُحًا ولكن سقط عني الوجوب بطلب هذه الخفارة**" [٣]، وذلك اعتماداً على فتوى الفقهاء بسقوط الحج بطلب الخفارة [٤].

---

(١) وقد ظهر ذلك في قول أبي طاهر القرمطي عند اقتحامه المسجد الحرام سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م، فصاح فيه الحجيج كيف تقتل جيران الله ووفادة؟ فقال ليس بجار من خالف أوامر الله ونواهيه وتلي قول الله تعالى:" **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا** ..." سورة المائدة أية ٣٣. النجم عمر بن فهد، **اتحاف الورى**، ج٢: ص ٣٧٨؛ ابن عبد الملك، **سمط النجوم**، ج٤: ص ٢٠٨.

(٢) مادة (ر ح ل)، جمع راحلات ورواحل، وراحلة من الإبل: أي ما يصلح منها للأسفار والأحمال، ذكرًا كان أو أنثى. أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية**، مج٢: ص ٨٧١.

(٣) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٣: ص ٣٧٨؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١١: ص ٢١٥؛ النجم عمر بن فهد، **اتحاف الورى**، ج٢: ص ٣٨٨؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات **الذهب**، ج٤: ص ١٣٩.

(٤) أفتى الفقهاء أنه يشترط في الحج أن يكون الطريق آمنًا فإن كان فيه خوف من عدو مسلم أو كافر أو رصدي يطلب الخفارة لا يلزمه، أي يسقط واجب الحج، فلا يجب بذل مال على جهة الخفارة للتوصل إلى الحج، وإنما الجائز هو أجرة الدليل أو ما يأخذه الجند ومن يحفظ الحجاج من اللصوص فلا يسقط بها الحج. الحطاب الرُّعيني، **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل**، ج٢، ص ٤٩٧؛ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، تفسير **حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي (بيروت – لبنان: دار طوق النجاة، ٢٠٠١ م)، ج٥: ص ٢٥.

وبذلك فقد بادر القرامطة منذ عقد الاتفاق مع الخلافة العباسية بتولي قيادة القوافل لضمان وصولها إلى مكة سالمة، وقد ضمنت هذه الضريبة مروراً آمنًا للحجاج خلال الطريق من العراق إلى مكة، حتى أن الخلافة لم تأمر بتكليف قوات عسكرية لمرافقة القوافل وحمايتها كما كان معهود من قبل وإنما تركت مسؤولية حماية الحجيج للقرامطة، مقابل ضريبة الخفارة، والتي أصبح على الحجاج دفعها منذ ذلك الوقت، ويبدو أن هدف الخلافة من ذلك كان الاستفادة من قوة القرامطة وتجنيدهم لصالح خدمتها، كما يُلاحظ أن هدف القرامطة كان تحقيق المصالح الاقتصادية، وعلى هذا الأساس فقد اعتمدوا مبدأ السلام من أجل تحقيق المكاسب.

وفى مستهل ذي القعدة في سنة ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م "**وافى رسول أبي طاهر الجنابي القرمطي، فأطلق له من مال السلطان خمسة وعشرون ألف دينار من جملة خمسين ألف دينار، ووافق عليها على أن يبذرق بالحاج، فبذرقهم في هذه السنة**" (١)، وبذلك فمنذ سنة ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م خرجت قوافل الحجاج من خراسان والعراق إلى مكة بخفارة القرمطي أبو طاهر سليمان حتى وفاته سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م، ثم اضطربت الأمور بعد ذلك بوفاته، ويعلل ابن الجوزي ذلك بقوله: " **ولم يحج في هذه السنة أحد من بغداد ولا من خراسان لأجل موت الهجري، فلم يحضر أحد من أهل هجر يبذرق الحاج فخاف الناس** " (٢)، ثم خرجت قوافل الحج من العراق مرة أخرى سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م بمهادنة القرامطة بعد وفاة أبي طاهر(٣)، ولكن بدخول البويهيين(٤) إلى بغداد،

(١) ابن الجوزي، **المنظم**، ج١٣، ص ٣٨٣.

(٢) **المنتظم**، ج١٤، ص ٣٥.

(٣) عبد القادر الجزيري، **الدرر الفرائد**، مج١: ص ٣٢٧.

(٤) **الدولة البويهية**، فهي دولة فارسية ديلميه شيعية قامت في غربي إيران والعراق، وقد بدأ أمرهم في فارس سنة (٣٢١هـ / ٩٣٢م) وفي العراق سنة (٣٣٤- ٤٤٧هـ/ ٩٤٥- ١٠٥٥م)، وتنسب الدولة البويهية إلى أبوشجاع بويه، وكان لبويه ثلاثة من الأبناء وهم أبو الحسن علي أكبرهم، ويلقب بـ (عماد الدولة) ، وهو مؤسس الدولة البويهية، ومقر حكمه في فارس، وأبو علي الحسن أوسطهم، ويلقب بـ (ركن الدولة) في إقليم الجبال وأصبهان، وأبو الحسين أحمد أصغرهم، وهو الملقب بـ (معز الدولة) في كرمان والأهواز والعراق، وهو الذي دخل العراق منهم وسيطر على الخلافة العباسية. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي، (ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار صادر،١٩٠٠م)، ج١: ص ١٧٦.

وسيطرتهم على الخلافة العباسية سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م، حيث أصبحوا أصحاب السلطة الفعلية، ووقوع الصدام بين القرامطة والبويهيين، فعاد الحج إلى الانقطاع من ناحية العراق مرة أخرى [١]، وفي سنة ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م أعاد القرامطة الحجر الأسود، ثم عاد نشاط قوافل الحج مرة أخري بخفارة القرامطة حيث قاموا بتوفير المرافقة المسلحة لقوافل الحجاج [٢].

وفي العصر البويهي امتد نفوذ القرامطة من شرق شبه الجزيرة العربية ليشمل جميع المناطق الشمالية من شبه الجزيرة العربية باتجاه حدود فلسطين والشام، وذلك يعني أن القرامطة كانوا هم حماة قوافل الحجاج القادمة من العراق والقادمة من ناحية الشام ومصر، وبالتالي فكانوا ملزمين بحماية قوافل الحجيج من أعمال السرقة والنهب، فعندما قام بدو بني سليم[٣] سنة ٣٥٥هـ/ ٩٦٦م بسلب قافلة الحجاج القادمة من مصر والشام[٤]، كان القرامطة هم من أجبروا اللصوص على إعادة ما سلبوه، من الحجاج إلى كافور الإخشيدي(٣٥٥- ٣٥٧هـ/ ٩٦٥-٩٦٧م) صاحب مصر، حيث كان الإخشيديون (٣٢٤- ٣٥٨هـ/٩٣٥-٩٦٨م) يدفعون مبلغ ٣٠٠,٠٠٠ دينار سنوياً للقرامطة بهدف ضمان أمن وسلامة القوافل القادمة على الطرق البرية من مصر والشام إلى

(١) النجم عمر بن فهد، **اتحاف الورى**، ج٢: ص ٣٩٠؛ ابن عبد الملك، **سمط النجوم العوالي**، ج٤: ص ٢٠٩؛ عمر علي – دي – أُونثاغا، **قلاع العقل**، ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٢) **تاريخ ابن خلدون**، ج٤: ص ١٢٩؛ النجم عمر بن فهد، اتحاف **الورى**، ج٢: ص ٣٩٠ -٤٠٨؛ عمر علي – دي – أُونثاغا، **قلاع العقل**، ص ٢٥١.

(٣) **بنو سليم**: من قبائل قيس، بضم السين وفتح اللام، وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، وهم من أكبر قبائل قيس، وكانت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر، ومنهم جماعة سكنت في البحرين، ثم هاجرت بطون منهم إلى برقة مما يلي مصر ومما يلي المغرب. القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح **الأعشى في صناعة الإنشاء** (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ج١: ص ٤٠٠.

(٤) **تاريخ ابن خلدون**، ج٤: ص ١٢٩؛ عمر علي – دي – أُونثاغا، **قلاع العقل**، ص ٢٥١- ٢٥٣.

Michael Brett, ***"Egypt,"*** in the New Cambridge History of Islam: The Formation of the Islamic World Sixth to Eleventh Centuries. Edited by Chase F. Robinson. Vol.1(Cambridge: Cambridge University Press. 2011),568.

الحجاز ، وبذلك فلم تقتصر خفارة القرامطة علي طريق الحج من العراق إلى مكة وإنما اتسعت دائرة نفوذهم(١).

وبذلك فلم يأت عام ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م إلا "**وقد كان استقرّ من أمرهم أن يأخذوا الخفائر من سائر الأقاليم ومن خليفة بغداد، ويقال خفارة الحاج** " (٢)، وذلك لضمان سلامة الحاج وحمايتهم عند خروجهم من بغداد، فكانت قوافل الحج تخرج من بغداد إلى مكة في خفارة القرامطة المسلحة فيحج الناس ويعودوا سالمين (٣).

وعلى الرغم من تعهد القرامطة بحماية وحراسة الحجيج مقابل رسم الخفارة الذي كان يمنح لهم، إلا أن الحاج تعرضوا خلال الطريق لهجمات الأعراب في عدد من السنوات التي كان متوجب على القرامطة حمايتهم فيها، ففي سنة ٣٦١هـ/ ٩٧١م وسنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م اعترض بنو هلال(٤)

---

(١) **تاريخ ابن خلدون**، ج٤: ص ١٢٩؛ عمر علي – دي – أُونثاغا، **قلاع العقل**، ص ٢٥١– ٢٥٣.
Tasseron, *"**Arabia**",446*

(٢) ابن الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (تاريخ مولده ووفاته غير معروف) ، كنز **الدرر وجامع الغرر** ، تحقيق: صلاح الدين المنجد (بيروت: عيسى البابي الحلبي، ١٩٦١ م) ، ج٦: ص ١٣٢.

(٣) النجم عمر بن فهد، **اتحاف الورى**، ج٢: ص ٤٠٨، ص ٤١٢، ص ٤١٤.

(٤) هم **بنو هلال** بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر، قبيلة عربية قيسية مضريه عدنانية، أصلهم يعود إلى وسط نجد حيث كانوا يعيشون في بادئ الأمر، هاجرت القبيلة من الجزيرة العربية إلى الشام ثم صعيد مصر ومنه انتقلت إلى المغرب الأقصى. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري (ت :٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: لجنة من العلماء (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م)، ج١: ص ٢٧٣؛ **تاريخ ابن خلدون**، ج٦: ص ١٧– ٢٠؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج١: ص ٣٩٤.

وقد وجب التنويه إلى أن بني هلال وبني سليم من القبائل القيسية التي انحازت إلى القرامطة وحركتهم وصاروا جندًا لهم في البحرين وعمان، ولما تغلب الفاطميون على مصر سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م، كانوا ضمن عرب الشام الذين انضموا إلى جيش القرامطة لمحاربة الفاطميين، وكانت الشام في حوزة القرامطة من قبل فانتزعها منهم الفاطميون، وغلبوهم عليها وردوهم على أعقابهم إلى البحرين سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م، فعمل الفاطميون على نقل أشياع القرامطة من العرب في الشام من بني سليم وبني هلال إلى صعيد مصر، وإلى العدوة الشرقية إلى النيل، ثم سمحوا لهم بالهجرة إلى المغرب سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م .**تاريخ ابن خلدون**، ج٦: ص ١٨ ؛ إبراهيم القلا، "**بنو الجراح في فلسطين**"، **ص ١٨٢**؛ Brett, *"**Egypt**", **568***

طريق الحاج وقتلوا خلقًا كثيرًا منهم، ولم ينج منهم إلا طائفة، فاضطروا إلى العودة إلى بغداد ولم يحج أحد لذلك [١].

استمر القرامطة يقومون بخفارة الحجيج خلال حكم بني بويه، حيث حافظ القرامطة على علاقات طيبة مع الحكام البويهيين حتى لا يخسروا هذا الامتياز الذي اعتبروه حقًا مشروعًا لهم[٢]، كما حرص البويهيون من جانبهم على تجنب العداء مع القرامطة، من خلال منحهم امتيازات واسعة النطاق، بالإضافة إلى الخفارة التي كانوا يقومون بجبايتها نظير حمايتهم لقوافل الحج، ولكن خلال الفترة من سنة ٣٧١هـ / ٩٨١م حتى سنة ٣٧٧هـ / ٩٨٧م انقطع الحاج من جهة العراق بسبب الصراع والخلاف بين خلفاء بني العباس وبين خلفاء مصر الفاطميين من ناحية، وبسبب الخلاف بين البويهيين والقرامطة من ناحية أخرى فانعدم الأمان في الطريق [٣]، ثم ما لبثت القبائل العربية أن بدأت تنافس القرامطة في جباية خفارة الحج، فقامت باعتراض طريق الحجيج وحصرهم ومنعهم من المرور حتى اضطروا إلى مصالحتهم على دفع الأموال نظير السماح لهم بالمرور واستكمال الطريق، وذلك بالإضافة إلى رسم الخفارة الذي كان يُدفع للقرامطة، فكان على الحجاج دفع الخفارة الشرعية – إذا جاز التعبير– المتفق عليها للقرامطة، ودفع خفارة أخرى لزعماء القبائل العربية التي

---

(١) النجم عمر بن فهد، اتحاف **الورى**، ج٢: ص ٤٠٨– ٤١٧؛ جواد كاظم وانتصار العواد، **معوقات الحج إلى بيت الله**، ص ٣٠٢.

(٢) فقد منحهم عز الدولة بختيار بن معز الدولة إقطاع مقابل ضمان مرور الحجاج بحرية دون التعرض لهم، وفي عهد عضد الدولة البويهي (٣٦٧– ٣٧٢هـ/٩٧٨– ٩٨٩م) حرص على الاهتمام بطرق الحج وضمان سلامة، وعمل على تجنب العداء مع القرامطة، فمنحهم بعض الامتيازات منها حصولهم على إقطاع، ووجود ممثل لهم في العاصمة، وكانت الإقطاعات التي حصل القرامطة من بختيار وعضد الدولة في منطقة الكوفة وواسط، ولكن وبعد وفاة عضد الدولة سنة ٣٧٢هـ/ ٩٨٣م، ساءت العلاقات مع القرامطة. عارف مرضي الفتح، **الايجاز في تاريخ البصرة والإحساء ونجد والحجاز** (الكويت: مكتبة الكويت الوطنية، ٢٠٠٩م)، مج١: ص ٢١٢؛ عمر علي – دي – أُونثاغا، **قلاع العقل**، ص ٢٥١—٢٥٢؛ ريم السايح، **جهود الخلفاء العباسيين**، ص ٨٣٣؛ Tasseron, ***"Arabia"***,444-445

(٣) النجم عمر بن فهد، **اتحاف الورى**، ج٢: ص ٤١٦– ٤٢٠؛ عارف مرضي الفتح، **الايجاز في تاريخ البصرة والإحساء**، **مج١**: ص٢١٠– ٢١٢؛ عمر علي – دي – أُونثاغا، **قلاع العقل**، ص٢٤٨– ٢٥٢، ص ٢٥٢؛ ريم السايح، **جهود الخلفاء العباسيين**، ص ٨٣٣.

Tasseron, ***"Arabia"***,444 .

كانت تتعرض لهم، ومنها قبيلة بني المنتفق [١] ، وبني الجراح الطائي في فلسطين[٢]، وكانت هذه القبائل من البدو الذين حالفوا القرامطة من قبل وأيدوا حركتهم، ولم يكن انضمامها لهذه الحركة باسم الوازع الديني، وإنما كانت تحركهم مصالحهم القبلية الخاصة وتحقيق المكاسب والغنائم، فعلى إثر تراجع قوة القرامطة فقد تراجعت هذه القبائل عن مناصرتهم وصاروا من أعدائهم، وعملوا على إزاحتهم عن طريق الحج[٣]، ففي سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨م توجه الحجيج من بغداد إلى مكة على طريق

---

(١) **بنو المنتفق** : كانوا يسكنون في نجد مع الاتجاه شمالاً نحو البصرة، وكانت منازلهم تمتد من اليمامة إلي البصرة، أما منازلهم في العراق بعد أن انتقلوا إليها مع سائر بني عقيل بن كعب فكانت في البطائح التي تمتد بين البصرة والكوفة، ثم اتسعت بلادهم لتشمل كل بادية العراق من اليمامة إلى البصرة، وقد تصدر بنو المنتفق ساحة الأحداث السياسية في أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بعد أن اختفى ذكرهم من كتب التاريخ طيلة ثلاثة قرون ونصف تقريبا، فقد ازداد نشاطهم السياسي في عهد صمصام الدولة البويهي(٣٧٢- ٣٧٦هـ/٩٨٢-٩٨٦م) في أطراف الصحراء الغربية للعراق، إذ يبدو أنهم قد شغبوا عليه ، وقاموا بقطع الطريق علي السابلة وسفكوا الدماء ، فشفع فيهم أحد زعماء بني عقيل بن كعب ، فعفا عنهم ومنحهم كتاب الأمان على الدخول في طاعته ، شريطة ألا يعودوا إلى أفعالهم السابقة ومنها الكف عن الرعية والسابلة وترك التعرض للمال والدم. القلقشندي، **صبح الأعشى، ج**١٣: ص ٣٣٦- ٣٣٧؛ عبد الهادي الربيعي، **عشائر المنتفق**، سلسلة القبائل العربية في العراق (١٤)، ٢٠١١م، ص ١٤- ٢٠.

(٢) **بنو الجراح:** ينسبون إلى قبيلة طيء اليمنية، سكنوا الشام في فلسطين كان زعيمهم مفرج بن دغفل ، وكانت الرملة من إقطاعه، وله من الأولاد حسان وعلي ومحمود، وقد تولى حسان زعامة بنو الجراح بعده، بدأ ظهورهم على مسرح الأحداث السياسية سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م ، عند قيام الدولة الفاطمية في مصر، فكانوا من حلفاء القرامطة والبويهيين في مواجهة الخلافة الفاطمية في مصر، ولكن الفاطميين نجحوا في شراء ولائهم وضمهم إلى صفوفهم ، فارتدوا عن مناصرة القرامطة والبويهيين، وأصبحوا من حلفاء الفاطميين، فكان ذلك سبباً في هزيمة القرامطة وارتدادهم إلى البحرين سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م ، واستمر الصراع قائم بين القرامطة والفاطميين بسبب محاولات الفاطميين دخول سوريا والقرامطة يصدوهم حتى تم توقيع الصلح شريطة أن يدفع لهم الخليفة الفاطمي قيمة الإتاوة السنوية التي كان يدفعها الاخشيديون، وبناء عليه عادت القوات القرمطية إلى البحرين سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م، ثم ما لبث أن وقع الشقاق بين بني الجراح الطائي وبين الفاطميين، وعمل الفاطميون على طردهم من الرملة حيث إمارتهم، فقاموا بقطع طريق الحجاج طلباً للأموال. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص ٣١٩- ٣٢٠؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١١: ص ٣٠٥، ص ٣١٣- ٣١٤؛ عمر علي – دي – أُونثاغا، قلاع **العقل**، ص ٢٥٧؛ إبراهيم علي السيد القلا. **بنو الجراح في فلسطين**، ص ١٦٧- ١٧٥؛

Kennedy, "***The Late Abbasid Pattern***", 383- 384

(٣)ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١١: ص ٣٠٥، ص ٣١٣- ٣١٤؛ عمر علي – دي – أُونثاغا، قلاع **العقل**، ص ٢٥٧؛ إبراهيم علي السيد القلا. **بنو الجراح في فلسطين**، ص ١٦٧- ١٧٥؛

Kennedy, "***The Late Abbasid Pattern***", 383- 384 ؛Humphreys, "***Syria***",537.

الحج الكوفي، وفي طريق عودهم من مكة اعترضهم مفرج بن دغفل المعروف بابن الجراح الطائي [١] –أمير بني طيء الذين كانت لهم السيطرة والنفوذ في فلسطين وشمال شبه الجزيرة العربية– في واقصة [٢] وحاصرهم، حتى صالحوه على مال دفعوه إليه [٣]، وفي سنة ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م خرج ابن الجراح الطائي على الحاج مرة أخرى في طريق عودهم بين سميراء [٤] وفيد [٥]، وقاتلهم، حتى صالحوه على ثلاثمائة ألف درهم وشيء من الثياب والمتاع، فأخذها وانصرف [٦].

---

(١) **مفرج بن دغفل بن الجراح الطائي:** أمير بني الجراح في فلسطين، في الرملة ، أظهر طاعة العزيز بالله الفاطمي (٣٦٥– ٣٨٦ هـ /٩٧٥– ٩٩٦م) ، لكنه لم يعتنق المذهب الشيعي، فكانوا من أهل السنة، قاموا خلال فترة سيطرتهم على فلسطين بأعمال السلب والنهب والمصادرة وتعرضوا للقوافل وقاموا بابتزاز الحجاج، فساءت سيرتهم، فأراد الفاطميون تأديبهم وطردهم منها، والتخلص من شرورهم ، فأرسل إليه العزيز بالله سنة٣٧١هـ / ٩٨١م جيش فهزمه وطرده من الشام، فسار ابن الجراح بعد هزيمته يريد الحجيج ليقطع عنهم رجوعهم إلى مصر والشام ، فأرسل إليه العزيز جيش لتأديبه لمنعه من اعتراض الحجيج، ولكن ابن الجراح هزمه ، وسيطر على طريق الحج وأخذ يهدد الحجيج ، ثم دخل إلى الشام، ولكنه طُرِد منها مرة ثانية على يد القوات الفاطمية، واستمرت العلاقات متوترة بين الفاطميين وبني الجراح، فتارة يعقد الصلح وتارة يقع الخلاف، وتوفي مفرج بن دغفل سنة ٤٠٤هـ/١٠١٣م وخلفه ابنه حسان في زعامة بني الجراح . الأنطاكي، بحيي بن سعيد بن يحيى، (ت: ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)، تاريخ **الأنطاكي" المعروف بصلة تاريخ أوتيخا"**، حققه وصحح فهارسه: عمر عبد السلام تدمري (طرابلس – لبنان: جروس برس، ١٩٩٠م)، ص ١٩٩؛ عارف مرضي الفتح، **الإيجاز في تاريخ البصرة والإحساء ونجد والحجاز**، ج١: ص ٢١٠؛ إبراهيم علي السيد القلا. **بنو الجراح في فلسطين**، ص ١٧٥– ١٧٦؛

Kennedy, "***The Late Abbasid Pattern***",384.

(٢) **واقِصَةُ:** منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة وقبل العقبة لبني شهاب من طيّء، وهي دون زبالة بمرحلتين. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٥: ٣٥٤.

(٣) النجم عمر بن فهد، **اتحاف الورى**، ج٢: ص ٤٢٠

(٤) **سَمِيراء:** بفتح أّله، وكسر ثانيه، وهو منزل بطريق مكة بعد توز مصعدا وقبل الحاجز. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٣: ص ٢٥٥.

(٥) **فَيْدُ:** بالفتح ثم السكون، ودال مهملة، منزل بطريق مكة، تقع في نصف طريق مكة من الكوفة عامرة يودع الحاج فيها أزوادهم وما يثقل من أمتعتهم عند أهلها، فإذا رجعوا أخذوا أزوادهم، ووهبوا لمن أودعوها شيئا من ذلك، وهم مغوثة للحاج في مثل ذلك الموضع المنقطع، ومعيشة أهلها من ادخار العلوفة طول العام إلى أن يقدم الحاج فيبيعونه عليهم. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٤: ص ٢٨٢.

(٦) **ابن الأثير، الكامل في التاريخ**، ج٧: ص ٤٣٣؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٤: ص ٣٣٧؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج٢٦: ص ٣٥٦؛ النجم عمر بن فهد، **اتحاف الورى**، ج٢: ص٤٢٠.

ولم يقتصر اعتراض طريق الحج على بني الجراح الطائي، وإنما ظهرت قبيلة أخرى على الساحة السياسية، وهي قبيلة بني المنتفق بن عقيل، وكانوا من قبل من القبائل البدوية التي حالفت القرامطة في حركتهم ونشر دعوتهم[١] ، ثم ما لبثت أن انقلبت ضدهم، وأعلنت عليهم الحرب بقيادة زعيمهم الأصيفر المنتفقي[٢]، الذي تولى قتال القرامطة بعد هجومهم على البصرة سنة ٣٧٨هـ/ ٩٨٨م ، حيث انتدبه شرف الدولة البويهي (٣٧٧- ٣٧٩هـ/ ٩٨٧- ٩٨٩م) للمسير إلى البحرين[٣] فحشد جيشاً كبيراً وسار بهم إلى البحرين، فقتل زعيمهم وقتل عدد كبير منهم، ونجح في تأسيس دولة له في البحرين على أنقاض القرامطة بعد أن ضعف شأنهم، وبذلك فقد لعب بنو المنتفق

(١) عمر علي – دي – أُونثاغا، **قلاع العقل**، ص ٢٣٥؛

Tasseron, ***"Arabia"***,446

(٢) **الأصيفر الأعرابي:** من بني المنتفق بن عامر أحد بطون عقيل بن كعب، وقد ذكر صاحب (اتحاف الورى) أن اسمه هو محمد بن حنين بن حماد، وقد تولى زعامة بني المنتفق حتى وفاته سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م، وتطلق عليه المصادر لقب المنتفقي، والشيعي، والأعرابي، والثعلبي، نجح الأصيفر في تأسيس دولة له في البحرين على أنقاض دولة القرامطة بعد هزيمتهم سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨م، وقد استمر بنو الأصيفر يسيطرون على البحرين وما جاورها نحو مئة سنة، وبعد وفاة الأصيفر أخذت الرياسة تنتقل من شيخ إلى آخر. القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج١٣: ص ٣٣٧؛ النجم عمر بن فهد، **اتحاف الورى**، ج٢: ص ٤٢٠- ٤٢١؛ عارف مرضي الفتح، **الإيجاز في تاريخ البصرة والإحساء**، مج١: ص ٢١٩، ص ٢٣٣؛ عبد الهادي الربيعي، **عشائر المنتفق**، ص ١٤- ٢٠.

واستمر الأصيفر الأعرابي يعترض الحجاج ويجبي منهم الخفارة حتى وفاته سنة ٤١٠هـ /١٠١٩م وكان يأخذ الخفارة من الحجاج، حيث كان يؤذي الحجاج ويتعرض لهم في طريقهم ويجبي منهم الأموال برسم الخفارة، وإلا تعرضوا للنهب والقتل. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧: ص ٦٥٧؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج٨: ص ٣٤.

(٣) البحرين: وهو اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند تمتد بين البصرة وعمان، وهجر قصبة البحرين، وفيها عيون ومياه وبلاد واسعة، وربما عدّ بعضهم اليمامة من أعمالها والصحيح أن اليمامة عمل برأسه في وسط الطريق بين مكة والبحرين، والبحرين في عهد بني أمية كانت من أعمال العراق، وكانت كل من اليمامة وعمان عملًا مستقل فلما ولي بنو العباس صيّروا عمان والبحرين واليمامة عملًا واحدًا، وبين البحرين واليمامة مسيرة عشرة أيام، وبين هجر مدينة البحرين والبصرة مسيرة خمسة عشر يومًا على الإبل، وبينها وبين عمان مسيرة شهر. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج١: ص ٣٤٧.

وبالأخص أميرهم الأصيفر دوراً إيجابياً في التاريخ الإسلامي، ولم يعد باستطاعة القرامطة بعد هذه الحادثة فرض مكوس الخفارة على الطرق الشمالية لشبه الجزيرة العربية والصحراء الشامية [١].

فعندما فقد القرامطة موالاة حلفائهم من البدو ممن كانوا يؤيدونهم في الماضي تقلصت مكانتهم، لتصبح محلية مقتصرة على البحرين، حتى أن الزعيم القبلي لبني المنتفق بن عقيل انقلب ضدهم سنة ٣٧٨هـ/ ٩٨٨م، كما عمل على توجيه ضربة للقرامطة، وتقليص قوتهم، فطالب لنفسه بالحقوق التي كانت لهم على قوافل الحج، وتكون جباية الخفارة من الحجيج له ولقبيلته بدلاً منهم ، فقام باعتراض طريق الحاج سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م ، "**ودفع القرمطي عن طريق مكة وطلب من الحاج ما كان يأخذه القرمطي**"، وكان أمير الحج أحمد بن محمد بن عبيد الله العلوي، فطلب منه تأجيل أمر الجباية حتى يحج الركب ويعود، فوافق، ونزل الأصيفر في الثعلبية[٢] لانتظار الحاج حتى يعود، فلما فرغوا من مناسك الحج عادوا في طريقهم فالتقى بهم الأصيفر، واستوفي منهم مال الخفارة الذي كان يُحمل إلى القرامطة في السابق، وزال بذلك أمر القرامطة عن خفارة الحج، وكان لهم لمدة ثلاثة وخمسين عامًا منذ عهد الخليفة الراضي بالله سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م[٣].

وبذلك فإن الهزائم المتلاحقة التي مُني بها القرامطة قد جعلت هيبتهم وشوكتهم تتلاشى، وفقدوا الموارد المالية التي كانت تأتي عن طريق جباية الحجيج، كما شجعت هذه الهزائم القبائل على التمرد عليهم ومحاولة الاستئثار بالثروات المحلية التي كانوا ينعمون بها، وبذلك فقد حُرم القرامطة من جباية خفارة الحجيج وأصبح زعماء القبائل هم القائمون بهذا الدور، فالقبائل التي شاركت الحركة القرمطية هي التي أصبحت تهيمن على المنطقة، في سبيل مصالحها الخاصة وتحقيق الامتيازات الاقتصادية.

---

(١) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص ٤٢٣؛ عارف مرضى الفتح، الايجاز **في تاريخ البصرة ونجد والاحساء والحجاز**، مج١: ص٢١٢- ٢١٤؛ عمر علي – دي – أُونثاغا، **قلاع العقل**، ص ٢٥٨-٢٥٩؛ عبد الهادي الربيعي، **عشائر المنتفق**، ص ٢٠- ٢١؛

Tasseron, ***"Arabia"***,446

(٢) **الثَّعْلبيَّةُ:** بفتح أوله :من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشّقوق وقبل الخزيمية، وهي تقع في ثلثا الطريق بين مكة والكوفة. ياقوت الحموي، **معجم البلدان، ج٢: ص** ٧٨.

(٣) النجم عمر بن فهد، **اتحاف الورى**، ج٢: ص ٤٢٠- ٤٢١؛ عارف مرضي الفتح، **الإيجاز في تاريخ البصرة والإحساء**، مج١: ص ٢١٨.

خامسًا: الأعراب وجباية رسم الخفارة من الحجيج منذ سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م حتى سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م:

على الرغم من أن الأصيفر الأعرابي كان يجبي الخفارة من الحجاج بعدما أزاح القرامطة من طريقه منذ سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م إلا أنه لم يحظ بالشرعية لجباية هذا الرسم، والتي يُقصد بها موافقة الخلافة العباسية على قيام بني المنتفق وزعيمهم بخفارة الحاج وحراستهم منذ خروجهم حتى عودهم كما سبق ومنحتها من قبل للقرامطة ؛ ولذلك ففي ذي القعدة سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م ورد إلى دار الخلافة في بغداد الأصيفر الأعرابي –وقيل صاحبه أو من ينوب عنه – وعرض الخدمة في تسيير الحجاج إلى مكة، وضمن للخلافة حراستهم في ذهابهم وإيابهم حتى يعودوا سالمين، بالإضافة إلى التعهد بإقامة الخطبة للخليفة العباسي القادر بالله (٣٨١– ٤٢٢هـ/ ٩٩١– ١٠٣١م) من حد اليمامة[١] والبحرين إلى الكوفة، فقبل منه ذلك، وتمت الموافقة على هذه المبادرة، ومُنح الخلع واللواء وأعطي مالاً من دار الخلافة العباسية[٢]، وقيل أعطي عشرة آلاف دينار[٣] .

وبذلك فقد تولى بنو المنتفق بزعامة الأصيفر خفارة الحاج بعد أن ملك بادية العراق الجنوبية إلى اليمامة– أي شرق الجزيرة العربية، وحل محل القرامطة في منطقة نفوذهم، كما أعطى هؤلاء للخلافة العباسية الضمانات لمنحهم هذا الامتياز وهو ما يعرف بـ (تضمين الخفراء)، وذلك إذا كان الخفير يُخشى غدره، وعدم وفائه بما تعهد به لضمان حماية وأمن الحجاج، كما يتضح أن الخلافة العباسية قد تعهدت بدفع رسم الخفارة عن الحجاج، ولم يرد شيء في هذه المبادرة بخصوص جباية خفارة من الحجاج عند مرورهم من الكوفة إلى مكة.

وفي سنة ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م اعترض الأصيفر الأعرابي ركب الحجيج في مقصده إلى مكة ، وطالبهم بدفع رسم الخفارة المتفق عليه مع دار الخلافة مقابل السماح لهم بالجواز إلى مكة والعودة آمنين، فأعطاه أمير الحج وهو أبو الحسن محمد بن الحسن بن يحيى العلوي "**دنانير**

---

(١) **اليمامة:** كان فتحها سنة ١٢ هـ /٦٣٣م على يد القائد خالد بن الوليد عنوة ثم صولحوا، وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام، وهي معدودة من نجد وقاعدتها حجر. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٥: ص ٤٤٢.

(٢) ابن الجوزي، **المنتظم** ، ج١٢: ص ٣٦٣؛ سبط بن الجوزي، مرآة **الزمان**، ج١٨: ص٧٤؛ جواد كاظم وانتصار العواد، **معوقات الحج إلى بيت الله** ، ص ٣٠٢؛ عبدالهادي الربيعي، **عشائر المنتفق**، ص ٢١.

(٣) سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج١٨: ص ٧٤.

هرجة"[١]، وحج الركب وعند العودة عزف عن طريق الجادة (طريق الكوفة) إلى طريق الشام، خوفًا من اعتراض الأصيفر له في مقصده إلى العراق إذا ما تبين له فعله معه، ولكن الأصيفر أدرك خديعته؛ ولذلك فقد اعترض ركب الحاج العراقي مرة أخرى سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م، لما وصلوا بين زبالة والثعلبية ومنعهم من الجواز، وذكر لهم أن الدنانير التي أقطعت له من دار الخلافة كانت "**دراهم مطلية**" [٢]، وأنه لا يفرج لهم عن الطريق إلا بعد أن يعطوه رسمه لسنتين، تعويضًا له عنها، وتردد الأمر بين الحاج وبين الأصيفر حتى ضاق الوقت، فعادوا إلى بغداد، ولم يحج في هذه السنة من جهة العراق، وأيضًا من ناحية الشام واليمن لهذا الأمر[٣].

وبذلك فقد عانى الحجيج من جباية الخفارة التي تعهدت الخلافة العباسية بدفعها للأصيفر، فلم تفِ الخلافة بما اتفقت عليه مع الأصيفر، وأرسلت إليه دنانير مزيفة عبارة عن دراهم فضية مطلية بالذهب، ولكنه اكتشف الأمر وأصر على الحصول على تعويض بدلًا عنها من الحجاج، بالإضافة إلى دفع رسم الخفارة لسنتين قادمتين، فاضطروا إلى العودة إلى بغداد.

وإزاء هذه المعاناة التي قاسى منها الحجيج في طريق الحج من بغداد إلى مكة ؛ بسبب رسم الخفارة المفروض عليهم والمغالاة في جبايتها، فكان لزاماً لذلك أن تظهر شخصية البطل المنقذ؛ لإنقاذ الحجيج ورفع معاناتهم– وذلك في ظل ضعف الخلافة وسيطرة البويهيين الشيعة– من خلال التكفل بدفع رسم الخفارة للأصيفر الأعرابي عوضاً عن جبايته من الحجاج، وقد تجلى

(١) النجم عمر بن فهد، **اتحاف الورى**، ج٢: ص ٤٢٢

(٢) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١١: ص ٣٥٧؛ النجم عمر بن فهد، **اتحاف الورى**، ج٢: ص ٤٢٢؛ عارف مرضي الفتح، **الإيجاز في تاريخ البصرة والإحساء**، مج١: ص ٢٢٠.

(٣) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٤: ص ٣٦٩– ٣٧٠؛ ابن الأثير، الكامل **في التاريخ**، ج٧: ص ٤٦٤ ؛ تقي الدين الفاسي، محمد بن أحمد بن علي أبو الطيب المكي الحسني (ت: ٨٣٢هـ/١٤٣٨م) ، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م) ، ج٢: ص ٢٦٨؛ عارف مرضي الفتح، **الإيجاز في تاريخ البصرة والإحساء**، مج١: ص ٢٢١.

ذلك في شخص الأمير أبو النجم بدر بن حسنويه الكردي [١] أمير إقليم الجبال[٢] الذي بعث سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م مبلغ تسعة آلاف دينار لتدفع إلى الأصيفر، الذي كان يقطع الطريق على الحجاج ويتعرض لهم، عوضًا له عما كان يأخذه من الحجاج برسم الخفارة[٣] ، وفي سنة ٣٨٦هـ / ٩٩٦م بعث بدر بن حسنويه أيضًا خمسة آلاف دينار مع زعماء القوافل الخراسانية؛ لتنفق في خفارة الطريق، وتدفع للأعراب وللأصيفر المنتقي في طريق الحج من العراق إلى مكة عوضًا عما كان يجبى من الحجاج كل سنة لهذا الغرض نظير خفارتهم، وجعل ذلك بمثابة رسمًا له كان يزيد فيه كل سنة حتى تضاعف إلى أن بلغ تسعة آلاف دينار ومائتي دينار يدفعها من ماله، وواصل حمل ذلك إلى الأصيفر إلى حين وفاته سنة ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م[٤].

وعلى الرغم من تعهد الأصيفر الأعرابي بخفارة الحج إلا أن الحجاج لم يسلموا من هجمات قبائل الأعراب الأخرى عليهم خلال الطريق إلى مكة، ففي سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م اعترض طريق الحجيج ابن الجراح الطائي أمير طيء بأمر من الحاكم بأمر الله الفاطمي (٣٨٦- ٤١١هـ/ ٩٩٦- ١٠٣٠م) – عندما تنامى إلى علمه أن الخليفة القادر بالله يريد جعل الخطبة في مكة باسمه، وأنه

(١) هو **بدر بن حسنويه بن حسين البرزيكاني الكردي**، تولى الإمارة الحسنوية سنة ٣٦٩هـ /٩٧٩م خلفاً لوالده الأمير حسنويه بن حسين، الذي سميت الإمارة باسمه، ومؤسس الإمارة الحسنوية هو جده حسين البرزيكاني الكردي سنة٣٣٠هـ/٩٤١م في الدينور وشهرزور وهمدان في إقليم الجبال، ثم امتد نفوذهم في إيران من أذربيجان في الشمال حتى إقليم الجبال في الجنوب. أمل بنت صالح الشمراني، "**الأمير أبو النجم ناصر الدولة بدر واصلاحاته الداخلية (٣٦٩-٤٠٥هـ:٩٧٩- ١٠١٤م**"، مجلة عصور، مج ١٩، ع١(٢٠٢٠م)، ص١٢- ١٣.

(٢) جمع جبل :اسم علم للبلاد التي تمتد ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والري وما بين ذلك من البلاد الجليلة والكور العظيمة. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢: ص ٩٩.

(٣) مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٧: ص٣٣٩؛ ابن الجوزي، **المنتظم** ، ج١٤: ص ٣٨٣؛عارف مرضي الفتح، **الإيجاز في تاريخ البصرة والإحساء**، مج١: ص ٢٢١.

(٤) ابن الجوزي، **المنتظم** ، ج١٤: ص ٣٧٤؛ سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج١٨: ص ٨٠؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة** ، ج٤: ص ١٦٩.

خاطب أمير مكة بهذا الشأن– الذي أوعز إليه باعتراض حجيج العراق، فاعترضهم، ولكنه أفرج عنهم بعد أن شفع فيهم الشريفان الرضى [١] والمرتضى[٢] ، فخلى سبيلهم[٣].

وما لبث أن عظم شأن بدر بن حسنويه لدى دولة الخلافة العباسية، ففي سنة ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م منحه الحليفة العباسي لقب ناصر الدين والدولة، وذلك نظير خدماته وإسهاماته في حماية طريق الحج، وكان كثير الصدقات بالحرمين، وكان ينفق أموال الخفارة للعرب بطريق مكة ليكفوا عن أذى الحجاج واعتراض طريقهم [٤].

وبذلك فقد نظرت الخلافة العباسية السنية في ظل غياب اهتمام بني بويه بأمور الحج إلي بدر بن حسنويه، وما يقوم به من التكفل بدفع رسم الخفارة عن الحجاج إلي الأعراب باعتباره المنقذ للخلافة العباسية، والحافظ والحامي لدين الله من خلال استمرار شعائره، فتعد شعيرة الحج كما هو معروف من أركان الإسلام الخمسة التي وجب الحفاظ علي استمراريتها، وبذلك فقد أيدت الخلافة مسلك بدر تجاه الحجاج، ومنحته الشرعية في تولي أمور الحج بهذا اللقب، فكان ما قام به بدر بن حسنويه هو أحد الحلول البديلة لإنقاذ هيبة الخلافة العباسية، وحفاظًا على استمرارية خروج ركب الحاج، وحفظًا لماء وجه الخلافة العباسية بعدما عجزت عن توفير الحماية للحجاج، والوفاء

---

(١) **الشريف الرضي:** أبو الحسن محمد بن طاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، المعروف بالموسوي صاحب ديوان الشعر، وكان أبوه يتولى قديما نقابة نقباء الطالبيين، ويحكم فيهم أجمعين، والنظر في المظالم والحج بالناس، ثم ردت هذه الأعمال كلها إلى ولده الرضي المذكور في ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م وأبوه حي، وقد ولد سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م وتوفي سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م. ابن خلكان، **وفيات الأعيان** ، ج٤: ص ٤١٤، ص ٤١٩.

(٢) **الشريف المرتضى:** أخو الشريف الرضي، وقد آلت إليه نقابة الطالبيين بعد وفاة أخيه الرضي، وكان إماماً في علم الكلام والأدب والشعر، وقد ولد سنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م وتوفي سنة ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٣: ٣١٣– ٣١٦.

(٣) **تاريخ ابن خلدون**، ج٤: ص١٣٠؛ النجم عمر بن فهد، اتحاف **الورى**، ج٢: ص ٤٢٤؛ ابن عبد الملك، **سمط النجوم العوالي**، ج٤: ص٢١١؛ عارف مرضي الفتح، **الإيجاز في تاريخ البصرة والإحساء**، مج١: ص ٢٢١.

(٤) ابن الأثير، الكامل **في التاريخ**، ج٧: ص ٥٠١؛ جواد كاظم وانتصار العواد، **معوقات الحج إلى بيت الله** ، ص ٣٠٢؛ أمل الشمراني ، **الأمير أبو النجم ناصر الدولة بدر**، ص١٥– ١٦.

بما اتفقت عليه مع الأصيفر الأعرابي نظير حماية ركب الحج، فكان بدر بن حسنويه هو المنقذ للخلافة وهيبتها أمام تطاول الأعراب الذين كانت تحركهم مصالحهم وأهواؤهم الذاتية.

وأخذت بنو الجراح الطائي تنافس بني المنتفق في خفارة الحج؛ لذلك استمروا في خروجهم على الحجاج وقطع طريقهم؛ طلباً للأموال نظير إطلاق سراحهم والسماح لهم بالمرور، فاضطر الحجاج إلى دفع خفارة لابن الجراح الطائي بالإضافة إلى الخفارة التي كان يدفعها بدر بن حسنويه للأصيفر الأعرابي، ففي سنة ٣٨٩هـ / ٩٩٨م خرج ركب الحج من العراق، وكان في ركب الحج الشريفان العلويان الرضى والمرتضى، فاعترض الركب ابن الجراح الطائي، فأعطوه تسعة آلاف دينار من أموالهما، فأطلق الحجاج وسمح لهم بالمرور [١].

واستمر ابن الجراح الطائي يعترض طريق الحجيج طلبًا لأموال الخفارة، ففي سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م رجع ركب العراق من طريق الكوفة خوفًا من ابن الجراح الطائي، أما ركب البصرة فقد حج بخفارة بني زغب [٢] الهلاليين، وأخذوا من الركب نظير ذلك ما قيمته ألف ألف دينار ضريبة للخفارة نظير إجارتهم وحراستهم خلال الطريق [٣].

وعلى الرغم من أن بدر بن حسنويه كان يرسل إلى الأصيفر الأعرابي رسم الخفارة كل عام ، حتى لا يرهق الحجاج بمطالبتهم بالوفاء به، إلا أنه عاود قطع طريق الحجاج مرة أخرى لجبايتهم في تحد صريح لهيبة وقوة الخلافة العباسية آنذاك، ، فقد خرج على ركب الحج العراقي سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٣م في الطريق من الكوفة إلى مكة ، وكان قد حج من خراسان خلق عظيم، وكان في القافلة أموال عظيمة، فحاصرهم الأصيفر بالبطانية[٤] وأحاط بهم، وكان في الركب أبو

---

(١) الشريف المرتضى(ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م): **الناصريات**، تحقيق: مركز البحوث والدراسات العلمية، (طهران – إيران: مؤسسة الهدى، ١٩٩٧م) ، ص ١٥؛ ابن الجوزي، **المنتظم** ، ج١٥: ص١٥؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان** ، ج١٨: ص ١١٦؛ عارف مرضي الفتح، **الإيجاز في تاريخ البصرة والإحساء**، مج١: ص ٢٢٢.

(٢) ذكر ابن خلدون في تاريخه أن بني زغب من بطون بني سليم، في حين أنه أورد أن بني زغبة من بطون بني هلال، وعلى ذلك فمن المرجح أن المقصود هم بنو زغبة الهلاليون. **تاريخ ابن خلدون**، ج٦: ص ٥٤، ص ٩٥.

(٣) النجم عمر بن فهد، اتحاف **الورى**، ج٢: ص٤٢٨– ٤٢٩؛ عارف مرضي الفتح، **الإيجاز في تاريخ البصرة والإحساء**، مج١: ص ٢٢٢.

(٤) من خلال البحث في معجم البلدان لم يتم العثور على موضع بهذا الاسم، ولكن ربما يقصد به (بِطان) بكسر أوله وهو منزل بطريق الكوفة بعد الشقوق من جهة مكة دون الثعلبية. **ياقوت الحموي**، ج١: ص ٤٤٦.

الحسن بن الرفاء وأبو عبد الله بن الدجاجي، وكانا من كبار القراء، وأراد الأصيفر نهب الحجيج، فاجتمعوا وتشاوروا فيمن يمضي منهم إليه للتفاوض معه على أن يقرروا له مبلغًا من المال يعطوه له حتى يعود عنهم، فندبوا لهذه المهمة أبو الحسن بن الرفاء وابن الدجاجي، فدخلا عليه وسلما عليه وقرآ القرآن بين يديه بصوت جميل فأعجبه ذلك، وقال لهما: هل أطلق لكما أحد ألف ألف دينار في يوم واحد، فقالا له: لا ولا ألف درهم في يوم واحد ، "**فقال لهما :قد وهبت لكما الحاج وأموالهم، وذلك يزيد على ألف ألف دينار**" (١) ولولاكما لما قنعت منهم بأقل من ألف ألف دينار، فأطلق الحجيج كله بسببهم، ولم يتعرض لهم أحد من الأعراب، وذهبوا للحج وعادوا سالمين(٢).

واستمراراً لتجاوزات الأعراب تجاه الحجيج، ومغالاتهم في جباية الخفارة ، ففي سنة ٣٩٥هـ /١٠٠٤م اعترض ابن الجراح الطائي ركب الحاج العراقي في طريق العودة من مكة، وألزمهم بدفع تسعة آلاف دينار رسم خفارة، فدفعوا له، بالإضافة إلى رسم الأصيفر الأعرابي الذي كان يقوم به بدر بن حسنويه عن الحجاج كل عام، ثم سمح لهم باستكمال طريق العودة إلى بغداد(٣)، وفي سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦م، لم يحج الركب العراقي رغم توجههم لاعتراض ابن الجراح الطائي لهم بالثعلبية ومطالبته لهم بالمال، ومنعهم من المسير حتى يأخذ منهم مالًا، فرجعوا إلى الكوفة لضيق الوقت عليهم، ولهذا السبب لم يحج أحد من العراق سنة ٣٩٨ هـ/١٠٠٧م، وبذلك فكانت الخفارة سبباً في انقطاع الحج من ناحية العراق هذا العام(٤).

(١) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧: ص ٣٥٧؛ سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج١٨: ص ١٤٢– ١٤٣؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١١: ص ٣٨٣؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤: ص٢٠١.

(٢) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١١: ص ٣٨٣؛ النجم عمر بن فهد، **اتحاف الورى**، ج٢: ص٤٢٩– ٤٣٠؛ جواد كاظم وانتصار العواد، **معوقات الحج إلى بيت الله**، ص٣٠٢.

(٣) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٥: ص ٤٦.

(٤) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ** ، ج٧: ص ٥٥٦؛ التقي الفاسي، **شفاء الغرام**، ج٢: ص ٢٦٨؛ ؛ الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، تحقيق: صلاح الدين المنجد (الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٦م) ، ج٢: ص ١٩٠؛ عارف مرضي الفتح، **الإيجاز في تاريخ البصرة والإحساء**، مج١: ص ٢٢٤.

واستكمالًا لوقائع الأصيفر الأعرابي مع الحجيج، ففي سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م اعترض طريقهم عند عودتهم من مكة، وكان أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر العلوي [١] أميراً على الحج، فقرر عليهم مالًا يجبى منهم لدفعه إلى الأصيفر برسم الخفارة؛ ليسمح لهم بالمرور واستكمال الطريق، فدفعوا له، ودخلوا الكوفة بعدما لاقوه من مشقة خلال الطريق، ثم رجعوا إلى بلادهم [٢].

وبذلك فإن تكفل بدر بن حسنويه بدفع رسم الخفارة للأصيفر لم يثنهِ عن اعتراض الحجاج وجباية الخفارة منهم مرة أخرى، فلم يلتزم بحماية وحراسة الحجيج في عدد من السنوات، وإنما كان يعمل على الترصد لهم في الطريق وجبايتهم.

كما كان الأعراب من سكان البوادي من قبيلة خفاجة[٣] تقطع طريق الحجاج، ويشنون الغارات على المناطق المجاورة ويتعرضون للمارة، ويأخذون الخفارة من القوافل، ففي سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م اعترض حجاج العراق عند عودهم من مكة إلى بغداد حماد بن عدي الخفاجي

---

(١) **أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر العلوي:** توفي سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م، وهو من النقباء في الكوفة، وكان إليه إمرة الحاج لمدة عشر سنوات، وهو نقيب الطالبيين في الكوفة كان شجاعًا جوادًا، دينًا، كانت إليه النقابة وإمرة الحاج، حج بالناس لمدة عشر سنين فكان ينفق عليهم من ماله، ويؤدي الخفارة للعرب عن الحاج من ماله، وكانت وفاته بالكوفة. سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج١٨: ص ٢١٩؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، **الوافي بالوفيات**، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى (بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠٠م)، ج١: ص ١٠٩.

(٢) ابن الجوزي، **المنتظم** ، ج١٥: ص٦٨؛ سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان** ، ج١٨: ص ١٧٨؛ الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، ج٢: ص ١٩٤ ؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤: ص ٢٢٠.

(٣) هو خفاجة بن عمرو بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، استوطنت في الحجاز ونجد ثم الطائف، وفي الإسلام انتشروا في شبه الجزيرة العربية وخارجها، وشاركوا في الفتوحات الإسلامية، ثم استوطنوا في المناطق الممتدة بين البصرة والكوفة بعد فتح العراق، فاستوطنوا بضواحي العراق ما بين بغداد والكوفة وواسط والبصرة، في عهد بني بويه، ثم علا شأنهم وأصبح لهم إمارة في بادية العراق في العصر العباسي سنة ٣٧٤هـ/ ٩٨٤م، فكان لهم الحماية والخفارة في سواد العراق من قبل السلطة البويهيه، وذلك نكاية في القرامطة، الذين انقلبوا عليهم وأرادوا التخلص من قوتهم وتقليص نفوذهم، حيث كانت لهم الحماية في منطقة الكوفة والبصرة من قبل، ثم ما لبث أن وقع الصراع بين بني خفاجة والقبائل العربية الأخرى التي جاورتها في بادية العراق، فهاجرت ، وانتشروا ما بين الجزيرة والشام في عدوة الفرات. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٩: ص ٣٨٦؛ **تاريخ ابن خلدون**، ج٤: ص ٤٢٦، ص ٥٣٤؛ صباح جاسم حمد، "**دور قبيلة خفاجة في العراق في القرنين الخامس والسادس الهجريين**"، مجلة الجامعة العراقية، العدد(٥٠ج٣)، د.ت، ص ٣٣٠-٣٣٢.

(الملقب بالثائر) ، فقاتلوا الحجيج ونهبوهم ولم يسلم منهم إلا اليسير، أما زعماء الحاج الخراسانية ، فقد تمكنوا من حفظ أنفسهم بالخفارة ، فقد عاد بهم أبو الحارث محمد بن محمد بن يحيى العلوي أمير الركب، وذلك بعد أن تخفروا ببني خفاجة الذين كانوا قد هاجموا الركب وقتلوا خلقاً كثيراً منهم ، فعادوا إلى الكوفة على أسوأ حال، ولما بلغ الوزير البويهي ببغداد – فخر الملك[١]_ ما فعله بنو خفاجة مع الحجاج أرسل جيش في طلبهم حتى ظفر بهم بالقرب من البصرة، فقتلوا وأسروا منهم كثيرًا، وأخذوا ما وجدوه لديهم من أموال الحجاج وأرسلوه مع الأسرى إلى الوزير البويهي [٢].

وبذلك فقد أصبح المترصد وقاطع طريق القافلة حاميها وحارسها أي خفيرها، فخلال هذه الفترة قامت قبائل بني المنتفق، وبني الجراح الطائي، وبني خفاجة، وبني زغب الهلاليين بجباية الخفارة من الحجاج نظير تسيير الحج ، وضمان ذهابهم وإيابهم سالمين، وكانت هذه القبائل تفرض الإتاوات على الحجاج، وإذا لم يدفع لهم الحجيج حالوا بينهم وبين أداء الفريضة، وقد عانى الحجاج من مغالاة هذه القبائل في جباية الخفارة، كما كان على الحاج دفع كثير من أموال الخفارة على طول الطريق ذهابًا وإيابًا لكل قبيلة على حدا، وقد أدى ذلك إلى توقف الحج من ناحية العراق لهذا السبب لعدة سنوات.

كما يتضح أنه منذ أن تعهد بدر بن حسنوية بدفع رسم خفارة الحج للأصيفر الأعرابي منذ سنة ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م حتى وفاته سنة ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م لم يتعرض الأصيفر الأعرابي للحج سوى مرتين سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٣م– ولكنه عفا عنهم وسمح لهم بالمرور دون أن يقوم بجبايتهم– وسنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م، أما باقي السنوات فلم يتعرض لهم وأمن الحجيج من مكره، ولكنهم لم يأمنوا مكر بني الجراح الطائي الذين تعرضوا لموكب الحج خلال السنوات: ٣٨٩هـ/٩٩٨م، و٣٩٣هـ

(١) **فخر الملك:** هو أبو غالب محمد بن علي بن خلف، وزير بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة البويهي، وبعد وفاته وزر لابنه سلطان الدولة أبي شجاع فناخسرو، وكان من أعظم وزراء بني بوية، وظل في منصبه حتى نقم عليه سلطان الدولة فحبسه ثم قتله سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٥: ص ١٢٤– ١٢٥

(٢) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١١: ص ٤٠٠؛ **تاريخ ابن خلدون**، ج٤: ص ١٣١؛ النجم عمر بن فهد، اتحاف **الورى**، ج٢: ص٤٤١–٤٤٢؛ جواد كاظم وانتصار العواد، **معوقات الحج إلى بيت الله**، ص ٣٠٢– ٣٠٣؛ صباح جاسم حمد، **دور قبيلة خفاجة في العراق**، ص ٣٣٢.

/١٠٠٢م، و٣٩٥هـ / ١٠٠٤م، و٣٩٧هـ/١٠٠٦م، وسنة ٤٠٢هـ / ١٠١١م حيث اعترضهم بنو خفاجة.

سادساً: خفارة الحج بعد وفاة أبي النجم بدر بن حسنويه الكردي (٤٠٥- ٤٤٧هـ/ ١٠١٤-١٠٥٥م):

خلال الفترة من سنة ٤٠٦ هـ/١٠١٥م إلى ٤١١هـ/ ١٠٢٠م لم يحج أحد من العراق بسبب مشاكل الطريق، وترصد الأعراب للحجيج في الطريق والمبالغة في المطالبة برسوم الخفارة، ففي سنة ٤٠٩هـ/١٠١٨م خرج الحجيج من بغداد فاعترضهم العرب في الطريق بين القصر والحاجر [١]، وطالبوا بزيادة على رسومهم، فاضطر الحجيج إلى الرجوع [٢]، وكان مرد ذلك إلى وفاة بدر بن حسنويه سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م، حيث كان لذلك أثره على موسم الحج، فقد " **تعطل الحج ووقف أمره بموته**" [٣] ؛ وذلك نظرًا لما كان يقوم به طيلة عشرين سنة من التكفل بدفع رسم الخفارة عوضًا عن الحجاج للأعراب، فقد خصص جزءاً من أمواله للإنفاق على الحجاج طوال فترة حكمه، فلما توفي لم يجد الحجيج من يدفع عنهم رسم الخفارة للأعراب، فوقع ذلك على كاهلهم، حيث طالبهم الأعراب بدفع الرسوم، بل والزيادة فيها، وهو ما لم يطقه الحجيج، فتوقف الحج من ناحية خراسان والعراق خلال تلك الفترة التي أعقبت وفاة بدر بن حسنويه؛ بسبب توقف الإنفاق علي شئون الحج، وغياب شخصية البطل المنقذ عن الساحة ليحمي الحجيج من جشع الأعراب الذين تكالبوا على قطع الطريق طلباً للخفارة.

كان نتيجة لموت بدر بن حسنويه أن انقطع التمويل الذي كان يرسله في سبيل تسيير الحجاج، وتوقف الحج من ناحية خراسان والعراق، فضج الناس، وبدأوا في البحث عن البطل المنقذ لهم ليحميهم وينصر الدين، ويتكفل بدفع رسوم الخفارة للأعراب، كما كان يفعل بدر بن حسنويه،

---

(١) **الحاجِرُ: موضع** قبل معدن النّقرة، دون فيد حاجر. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢: ص ٢٠٤.

(٢) التقي الفاسي، **شفاء الغرام** ، ج٢: ص ٢٦٩.

(٣)مسكويه، **تجارب الأمم**، ج٧: ص٣٣٩؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٤: ص ٣٨٣؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧: ص ٥٩٦؛ **تاريخ ابن خلدون**، ج٤: ص ٦٩٢؛ أمل الشمراني، **الأمير أبو النجم بدر**، ص ١٦.

حتى وجدوا مرادهم في شخص السلطان محمود الغزنوي(٣٨٧هـ - ٤٢١هـ/٩٩٧- ١٠٣٠م) [١]، فشَخُصت إليه جماعة من أهل العراق سنة ٤١٢هـ/ ١٠٢١م، وشكوا إليه ما يعانيه الناس من انقطاع الحج سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م و ٤١٢هـ/ ١٠٢١م؛ بسبب مشاكل الطريق وارتفاع رسم الخفارة الذي يُجبى من الحجيج، والذي كان يفوق قدراتهم المادية، وطلبوا منه أن ينعم عليهم بفتح طريق الحج، ويتكفل بحماية الحجاج من الأعراب، وأخذوا يذكرون له كان يقوم به بدر بن حسنويه من التكفل بتسيير ركب الحجاج بماله وتدبيره لمدة عشرين سنة حتى وفاته، حيث لم يخرج عليهم من يتولى شئون الحج ويتحمل نفقاته ويدفع عنهم أموال الخفارة بعد وفاته وطلبوا منه أن يحظى هذا الأمر باهتمامه وعنايته كعنايته بالفتوح والغزوات في الهند، فاستجاب لمطلبهم وأمر قاضي القضاة في دولته (أبو محمد الناصحي) [٢] بالتأهب للحج، ونادى في سائر أعمال خراسان بالتأهب للمسير للحج، وأعطاه ثلاثين ألف دينار يعطيها للعرب في الطريق نظير الخفارة بدلًا عما كان يجبى من الحجاج، وعندما بلغ الحجاج مدينة فيد اعترض العرب من بني نبهان طريقهم وحاصروهم وعزموا على نهبهم، فبذل لهم الناصحي خمسة آلاف دينار، لكنهم لم يقنعوا بها، وصمموا عن نهب الحاج، وكان يتزعمهم رجل اسمه جماز- وقيل حماد بن عدي ، وذكر ابن خلدون أن اسمه حسان - أحاط بالحجاج ، لكن كان في ركب الحاج أحد الغلمان من أهل سمرقند كان يجيد الرماية فرماه بسهم فقتله، وتفرق عنه أصحابه، فأنقذ الحجاج وحج الركب وعادوا سالمين.[٣]

---

(١) وقد شكا الناس إلى السلطان الغزنوي باعتباره نصير السنة، حيث سبق أن لقبه الخليفة العباسي بلقب "يمين الدولة وأمين الملة"، وكان علاقته بالخلافة العباسية طيبة، وكان يعتنق المذهب السني مذهب الخلافة العباسية ويرفض التشيع. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١١: ص ٤٠٠؛ أحمد محمد عدوان، **موجز في تاريخ دويلات المشرق الإسلامي**، (الرياض: دار عالم الكتب، ١٩٩٠م)، ص١٠٨.

(٢) هو قاضي القضاة **أبو محمد عبد الله بن الحسين الناصحي** الحنفي الخراساني، وكان قاضي السلطان محمود بن سبكتكين، وتوفي سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م.الذهبي، سير **أعلام النبلاء**، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط٣ (د.م: مؤسسة الرسالة الطبعة، ١٩٨٥ م)، ج١٧: ص ٦٦٠.

(٣) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٥: ص ١٤٦؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧: ص ٦٦٨- ٦٦٩؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**،ج٢٨: ص ٢٤٦؛ **تاريخ ابن خلدون**، ج٤: ص ١٣١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٤: ٢٥٥- ٢٥٦؛ النجم عمر بن فهد، اتحاف **الورى**، ج٢: ص٤٤٧.

وما لبث أن انقطع الحج من ناحية العراق مرة أخرى منذ سنة ٤١٣هـ/١٠٢٠م حتى سنة ٤٢٣هـ/١٠٣١م، لأسباب منها اضطراب طريق الحج بسبب العرب، ما عدا سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م حيث حج الركب من العراق على طريق الكوفة وعاد على طريق الشام خوفًا من الأعراب، وما يطلبونه من خفارة على طول طريق الكوفة [١]، وفي سنة ٤٢١هـ / ١٠٣٠م لم يحج أحد من العراق إلا جماعة اجتمعوا بالكوفة وخرجوا في قافلة كبيرة مع الخفراء حيث تخفروا من قبيلة إلى أخرى، وبلغت أجرة الراكب إلى فيد أربعة دنانير فحجوا وعادوا سالمين [٢]، وفي سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م لم يحج أحد أيضًا من ناحية العراق، ويُذكر أن الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ/ ١٠٣١-١٠٧٥م) لما بويع بالخلافة أمر بتجهيز الحاج والتكفل بنفقاته، ولكن لم يتمكن الركب من مغادرة العراق بسبب سيطرة الأعراب على الطريق، حيث لم يخرج الحجاج مخافة الطريق، وإنما حج قوم رجالة من الكوفة، وفي سنة ٤٢٣هـ/١٠٣١م لم يحج أحد سوى نفر يسير من الرجالة [٣]، ومنذ سنة ٤٢٣هـ/١٠٣١م حتى سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م لم يحج أحد من جهة العراق، رغم توجههم في بعض السنين مع الخفراء ، ولا سيما على طريق البصرة، فقد عاني الحجاج في طريق البصرة من غدر الخفراء الذين تخفروا بهم وأمنوهم على أنفسهم وأموالهم في بعض السنين التي توجهوا فيها للحج، ولكن غدر الخفراء حال بينهم وبين أداء الشعيرة، ففي سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣١م خرج ركب الحاج من البصرة بدون خفير فاعترض العرب طريقهم، فأخذوهم ونهبوهم ولم يحجوا ؛ لذلك عندما خرجوا للحج سنة٤٢٤هـ /١٠٣٢م صحبهم خفير لحراستهم خلال الطريق إلى مكة، ولكن هذا الخفير غدر بهم ونهبهم ولم يحجوا، فعاودوا الكرة مرة أخرى سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م حيث خرجوا مع من يخفرهم من العرب فغدروا بهم ونهبوهم أيضاً[٤]، وخلال الفترة من ٤٣٣هـ/١٠٤١م إلى سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م لم يحج أحد من جهة العراق " **إلا متخفرًا بالعرب**"، فلم يعد بإمكان الحجيج الجواز في طريق مكة إلا بخفراء من العرب لاتقاء شرورهم وحفظاً لسلامة الحجاج[٥].

---

(١) **تاريخ ابن خلدون**، ج٤: ص ١٣١؛ وقد ذكر ذلك صاحب اتحاف الوري في أحداث سنة ٤١٥. النجم عمر بن فهد، اتحاف **الورى**، ج٢: ص٤٥١- ٤٥٢.

(٢) التقي الفاسي، **شفاء الغرام**، ج٢: ص ٢٧٠.

(٣) عبد القادر الجزيري، **الدرر الفرائد**، مج١: ٣٤٢؛ ابن عبد الملك، **سمط النجوم العوالي**، ج٤: ص٢١٣.

(٤) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧: ص٧٥٥- ٧٦٠؛ النجم عمر بن فهد، **اتحاف الورى**، ج٢: ص٤٥٧.

(٥) النجم عمر بن فهد، **اتحاف الورى**، ج٢: ص٤٤١-٤٤٢.

وبذلك يتبين أن الفترة منذ سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م حتى ٤٤٧هـ/١٠٥٥م تعد أطول فترة انقطاع للحج في التاريخ الإسلامي، وذلك باستثناء عامي ٤١٢هـ/١٠٢١م و ٤١٤هـ/١٠٢٣م ، وباستثناء الجماعات التي خرجت في عدد من السنوات مع الخفراء فأتموا الحج وعادوا بأمان، وذلك بسبب ترصد الأعراب في الطريق لقوافل الحج، وفقدان الأمان وعدم توفر الحماية للحجيج خلال الطريق، وغياب الإشراف المؤسسي المنظم على موسم الحج من قبل الإدارة الحاكمة الممثلة في السلطة البويهية التي لم تتخذ أي إجراء يذكر خلال تلك الفترة، حيث صمت آذانها عما يتعرض له الحجاج خلال الطريق بسبب رسوم الخفارة وغدر الخفراء، مما ترتب عليه توقف خروج ركب الحج من ناحية العراق وانقطاعه لعدة سنوات متتالية.

كما يلاحظ أن فترة حكم بني بويه في بغداد تعد أسوأ ما مر على الحجيج في تاريخ الإسلام ، فمنذ تحكمهم في منصب الخلافة لم يصبح للخليفة شأن يذكر، فلم تعد سلطاته تتجاوز حدود قصره، كما لم يحظ الحج بعنايتهم ولم يبذلوا في سبيل تسييره ما يحتاج إليه، فخلال مدة حكمهم التي دامت قرابة مائة وثلاث عشرة سنة انقطع الحج من ناحية العراق ما يقارب نصف القرن منها سنوات متتالية أو متفرقة، ومنها سنوات توجهوا للحج ، ولكنهم عادوا من الطريق بسبب ترصد العرب لهم لجباية الخفارة، كما يلاحظ أن كثير من السنوات التي خرج فيها ركب الحج من العراق إلى مكة وفي طريق العودة اعترضهم الأعراب، وجبوا منهم الخفارة بالإضافة إلى الخفارة التي دفعوها حين قدومهم، وخلال فترة حكم بني بويه أيضًا خرجت قوافل الحج بمعونة المقتدرين وكان أخرها سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م، حيث توقف الحج بإشراف مؤسسي وتحول إلى الحج في شكل جماعات متفرقة تتخفر بالأعراب، وليس في شكل موكب كما كان متعارف عليه من قبل.

سادساً: خفارة الحج منذ سنة٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م حتى إسقاط رسم الخفارة سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م:

خلال الفترة من سقوط الدولة البويهية وسيطرة السلاجقة على الخلافة العباسية في بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م وحتى سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م، لم يخرج ركب الحج من العراق خلال سنوات: ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، و ٤٤٨هـ/١٠٥٦م، و٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م، و ٤٥١هـ/ ١٠٥٩م، ولكن خلال سنوات: ٤٤٩هـ/١٠٥٧م، ٤٥٢هـ/١٠٦٠م ، و ٤٥٣هـ/١٠٦١م، حتى٤٥٥هـ/١٠٦٣م لم يتمكن أحد من الحج " **إلا متخفرًا بالعرب**"(١)، فمن أراد الحج استأجر الخفراء من الأعراب وخرجوا للحج وعادوا سالمين(٢)، "**ثم ابتدأ أمر الحاج من العراق سنة ست وخمسين بنظر السلطان ألب أرسلان ابن داود ملك السلجوقية حين استولى على بغداد والخلافة طلب منه القائم ذلك فبذل المال وأخذ رهائن العرب ، وحج بالناس أبو الغنائم(٣) نور الدين المهدي الزينبي نقيب الطالبيين**" (٤).

ويتضح بذلك أن الحجاج كانوا قبل ذلك يخرجون في جماعات تتخفر بالعرب دون إشراف مؤسسي وتنظيم من قبل السلطة، فكانت تلك أول مرة في ظل حكم السلاجقة يحظى فيها الحج وتسيير الحجاج بعناية السلطات الحاكمة، فلم يترك الحجاج كإقطاع للخفراء من القبائل العربية، وإنما تم ذلك برعاية من الإدارة الحاكمة، فالإدارة هي من استأجرت الخفراء، وأخذوا عليهم الضمانات بحفظ الحاج وحمايتهم وعدم الغدر بهم.

وفي ضوء ذلك فقد خرج ركب الحج من العراق بعد أن تكفل السلطان السلجوقي ألب أرسلان(٤٥٥- ٤٦٥هـ/١٠٦٣-١٠٧٢م) بالإنفاق عليه وتأمينه ودفع الخفارة للأعراب، كما أخذ الرهائن من الأعراب كضمان لوفائهم بعهود الأمان، وحراسة الحجيج، وتأمينهم منذ خروجهم حتى عودهم سالمين، وعدم الغدر بهم في الطريق، وبذلك فقد بدأت السلطة القائمة تُولي الحج العناية

---

(١) عبد القادر الجزيري، **الدرر الفرائد**، ص ٣٤٣- ٣٤٥

(٢) ابن كثير ، **البداية والنهاية**، ج١٢: ص١٠٥.

(٣) هو النقيب **أبي الغنائم المعمر بن محمد بن عبيد الله العلوي**، خلع عليه السلطان ألب أرسلان سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م، وقلده نقابة الطالبيين، والحج، والمظالم، ولقب بالطاهر ذي المناقب، ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٦: ص ٨٩.

(٤) **تاريخ ابن خلدون**، ج٤: ص ١٣٢؛ ابن عبد الملك، **سمط النجوم العوالي**، ج٤: ص٢١٤.

والاهتمام، ولكن رغم ذلك فلم يأمن الحجاج من غدر الخفراء، ففي السنة التالية سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م خرج ركب الحج من العراق إلى مكة إلا أنهم اضطروا إلى العودة من الطريق دون أداء الفريضة؛ وذلك بسبب غدر الخفراء الذين خرجوا برفقتهم(١)، وتفنيد ذلك أن قافلة للحجاج قدمت من ناحية خراسان إلى بغداد، واجتمعوا مع الحاج العراقي ليخرجوا لأداء مناسك الحج، فتشاور الوزير السلجوقي نظام الملك(٢) مع العميد أبي سعيد(٣)عميد بغداد؛ لفتح طريق مكة أمام الحجاج بعد تأمينه وتوفير الحماية لهم، فسمح بذلك، كما سمح بإطلاق ما يحتاج إليه ركب الحج من الخفراء لحراستهم، فحضر "**نيفا وستين خفيرًا من القبائل**"، وقد خلع عليهم العميد أبو سعيد بلبس زي معين من الثياب القطنية المصبغة، فلبسوها وهم كارهين لها، وكان قد ورد مع قافلة الحاج القادمة من خراسان الشريف المرتضى العلوي- نقيب العلويين بالري في عهد السلطان السلجوقي طغرل بك (٤٢٩-٤٥٥هـ/ ١٠٣٧-١٠٦٣م) - فعندما علم أن الخفراء الذين تم استئجارهم غير راضين "**فأحضر جماعة من العرب، وقرر الخفارة معهم، وأن يسير وحده، وعلم العميد فخاف على الحاج، فحصل خمسة آلاف دينار وأنفقها فيهم، واستحلفهم على حفظ الحاج، فحلفوا يمينا ظهر معها سوء نياتهم، فشهد عليهم الشهود**"(٤).

وبعد ما سار ركب الحاج بإمرة أبي الحسين - نيابة عن أخيه الظاهر أبي الغنائم نقيب الطالبيين وأمير الحج- على مسافة عدة مراحل (٥) من الكوفة "**فغدر الخفراء بهم، وأخذوا المال**

---

(١) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٦: ص ٩١.

(٢) **نظام الملك:** هو الوزير أبو الحسن على بن إسحاق وزير السلطان السلجوقي ألب أرسلان وولده ملكشاه، الملقب بـ نظام الملك وقوام الدين الطوسي، تولى الوزارة للسلطان ألب أرسلان لمدة عشر سنين، فلما مات وزر لابنه ملكشاه حتى مقتله سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م بعد أن عمل في خدمته عشرين سنة منذ سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٢: ص ١٢٩- ١٣٠.

(٣) هو **العميد أبو سعيد القايني** الذي تولى عمادة بغداد سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م، ثم تولاها مرة أخرى سنة ٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م. نصر عبد المهدي معوض عبد الفتاح، "**الإدارة السلجوقية في العراق في عصر سلاطين السلاجقة العظام، عميد العراق أنموذجًا (٤٤٧- ٥٥٢هـ/ ١٠٥٥- ١١٥٧م**"، مجلة كلية الآداب - جامعة بنها، ع ٥٣، (٢٠٢٠م)، ص ٢١٦.

(٤) سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج١٩: ص ١٧٥.

(٥) مادة (رح ل)، مفرد مرحلة، وهي المسافة التي يقطعها المسافر في يوم تقريبًا. أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية**، مج٢: ص ٨٧١.

والجمال والزاد"، فعادوا إلى بغداد مرة أخرى دون أن يحجوا، أما الركب الذي سار برفقة المرتضى العلوي فإنهم رجعوا من فيد "**فإن الخفراء غدروا بهم، وجبوا منهم ضعف ما كان العميد أعطاهم**"، ثم اضطرب أمرهم واضطروا إلى الرجوع إلى بلادهم [١].

وبذلك فبرغم جهود الإدارة السلجوقية في سبيل تأمين الحجاج، وبذل الأموال للخفراء من القبائل العربية إلا أن هذا المسعى قد أخفق في توفير الأمن والحماية للحجاج، فلم يكن دفع الخفارة للقبائل هو الحل لهذه الأزمة، وإنما كان لابد من استئصال جذور المشكلة من الأساس، بالتصدي للعرب وقمع تحركاتهم تجاه الحجيج، كما كان لابد أن ترافق الحجيج القوة العسكرية اللازمة للحراسة من الجيش النظامي، ولا تُلقى مسئولية حماية الحجيج على أعناق الأعراب المتربصين بهم، فكان الخفراء الذين أوكلت إليهم مسئولية حماية الحجيج هم من غدروا بهم ونهبوهم.

ولكن بداية من سنة ٤٥٨هـ /١٠٦٥م عادت أمور الحج للانتظام دون انقطاع، حيث كانت البداية الفعلية لخروج القوافل في العصر السلجوقي، وذلك بسبب اهتمام الإدارة السلجوقية بشؤون الحج وتوفير الحماية اللازمة لهم على طول الطريق، وتولية أمراء للحج قاموا بواجبهم على الكفاية ومن يتهاون في مهمته كان يستبدل بغيره، ففي مدة حكمهم لم ينقطع الحج من العراق إلا سنوات معدودة، كما قلت حوادث قطع الطرق التي يتعرض لها الحاج بشكل ملحوظ، وإن حصل فكان أمراء الحج لهم بالمرصاد ، فقد كانوا أقوياء لهم صولات وجولات في تأديب الأعراب وكف أذاهم عن الحاج، وكان من أبرزهم الأمير أبو الغنائم نور الدين الزينبي الذي ولي إمارة الحج سنة(٤٥٦- ٤٦٧هـ/١٠٦٣-١٠٧٤م) ، والأمير التركي أبو منصور ختلغ بن كنتكين المعروف بالطويل، الذي تولى إمرة الحج منذ سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م حتى عُزل سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م، وهو أول تركي يتولى إمارة الحج[٢]، والأمير نجم الدولة خمارتكين الحساني التركي الذي تولى إمرة الحج بعد عزل الأمير ختلغ، حيث كان يصحب الحج العسكر لتوفير الأمن والحماية لهم خلال الطريق[٣] .

(١) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٦، ٩١؛ سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج١٩: ص ١٧٥.

(٢) عبد القادر الجزيري، **الدرر الفرائد**، ص ٣٤٧.

(٣) **تاريخ ابن خلدون**، ج٤: ص ١٣٣.

ورغم ذلك فقد استمر الحجاج يدفعون رسوم الخفارة، حيث كانت الإدارة السلجوقية تجبي رسوم الخفارة منهم وتدفعها للخفراء من الأعراب، ففي سنة ٤٧١هـ / ١٠٧٨م توجه أمير الكوفة و الحج الأمير أبو منصور ختلغ إلى السلطان السلجوقي ملكشاه (٤٦٥- ٤٨٥هـ/ ١٠٧٢-١٠٩٢م) وطلب منه مالًا ينفقه في الطريق لخفارة الحجيج، فلم يعطه شيئًا، وعندما عاد إلى بغداد وجد أن جماعة قد اجتمعوا ليمضوا بصحبته إلى مكة، فلما أعلمهم برفض السلطان، فامتنع من لم يكن معه ما يدفعه برسم الخفارة في الطريق، أما القادر على دفع أجرة كري الجمال ومال الخفارة فقد بقي، فجمع منهم مال الخفارة الذي قرره عليهم، وأعطاها للخفراء من الأعراب الذين سيقومون بحراستهم أثناء الطريق، وأخذ من الخفراء الرهائن لضمان ألا يغدروا بهم، فحجوا وعادوا سالمين سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م "**وكانت العرب قد ذلت له وأطاعته لشهامته، ونفى بني خفاجة عن البلاد**"، ولكن ختلغ أساء السيرة مع الحجيج وتعرض لهم، "**وأخذ من كل حمل**[١] **عن الخفارة تسعين دينارا، ومن كل راجل خمسة دنانير، ومن كل واحد عن زيارة قبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ستة دنانير** [٢].

وبذلك يتبين أن الحج كان في مقدور جماعة من المقتدرين الذين ملكوا المقدرة المادية لدفع رسوم الخفارة، أما دونهم من غير القادرين فقد عادوا خائبين مخذولين، كما أن الحجاج إذا كانوا قد أمنوا غدر الخفراء فإن أمير الحج لم يتركهم وقرر عليهم خفارة أخرى تدفع له بالإضافة للخفارة التي جباها منهم قبل الخروج، فكان الموسم بمثابة فرصة لتحقيق المكاسب المادية.

واستمر الأمير ختلغ يسير بالحاج كل سنة حتى عزله السلطان السلجوقي ملكشاه سنة ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م عن الكوفة وإمارة الحج؛ وذلك لكثرة شكاية الناس والحجيج منه بعد ما خرج معهم عن العادة في " **أكريتهم وخفارتهم**"، فكان يمنع الحجاج من التجارة ويوفرها لنفسه، وكان يأخذ منهم في الطريق أضعاف ما كان يقرره عليهم من الخفارة، وجعل على إمرة الكوفة والحج الأمير خمارتكين، "**فأحسن إلى الرعية، وأسقط عنهم وعن الحاج ما كان يأخذه ختلغ من الكرى والخفارة، واستدعى العرب، وضمنهم الطرق، والتزم جميع ما كان يؤخذ منهم من ماله**"، وحج خمارتكين

(١) مادة (ح م ل)، جمع أحمال وحمول، وهو ما يرفع على الظهر ونحوه، مثل حمل السفينة، وحمل الجمل، أي ما يشحن على ظهرها. أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية**، مج١: ص ٥٦٤.

(٢) سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج١٩: ص ٣٤٠.

بركب الحج وعادوا سالمين سنة ٤٧٧هـ /١٠٨٤م، فأشادوا بحسن سيرته معهم، ثم انتظمت أمور الحج في عهده من زيادة وكثرة عما كانت عليه في عهد الأمير ختلغ [١].

وفي سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م أصدر السلطان السلجوقي ملكشاه قرارًا "... **أسقط السلطان ما كان يؤخذ من الحجاج من الخفارة**" [٢]، "وخرج **من الكوفة لتوديع الحاج، فجاوز العذيب وشيّعهم بالقرب من الواقصة... فكانت السبل في أيامه ساكنة والمخاوف آمنة، تسير القوافل مما وراء النهر إلى أقاصي الشام، وليس معها خفير، ويسافر الواحد والاثنان من غير خوف ولا رهبة**"[٣]، "**وحصل... من الأمن والرخص ما لم يعهد؛ تسير القوافل من جيحون إلى الشام والتجار بالأموال العظيمة والأمتعة بلا خفير ولا رفيق على الاجتماع والانفراد، ولا يؤخذ لأحد عقال**"[٤].

وبذلك فقد أسقط ملكشاه عن الحجاج تلك الضريبة التي أثقلت كاهلهم، وحالت دون أدائهم لمناسك الحج لسنوات عديدة خلال التاريخ الإسلامي، كما دفعت بهم إلى العودة من الطريق فارغي الوفاض بعد أن ضاقت بهم السبل إلى مكة، بسبب ترصد قطاع الطرق بهم من القرامطة أو الأعراب، الذين اعتمدوا على ما يقومون بجبايته من رسوم الخفارة كأحد المصادر الرئيسة لمعاشهم، وعادت قوافل الحج إلى الخروج بانتظام من العراق على طريق الكوفة إلى مكة المكرمة دون أن يصحبها الخفراء، ودون دفع رسوم الخفارة ، حيث أصبحت الطريق أمنة من المخاوف وقطاع الطرق.

وفي ضوء ما سبق نستخلص أن خفارة الحج في البداية كانت مسئولية الخلافة العباسية، حيث كانت ترسل بصحبة القوافل ولاة الطريق والحاميات العسكرية لحمايتها وحراستها، ولكن في ظل ازدياد اعتداءات القرامطة على قوافل الحج، ونهب الحجيج وقتلهم انقطع الحج من جهة العراق لفترات طويلة مما اضطر الخلافة العباسية إلى أن تهادن القرامطة، على السماح للحجاج بالجواز إلى مكة نظير أن تدفع لهم رسم الخفارة كل عام، وبعد ضعف القرامطة تحولت مهمة خفارة الحجاج

(١) سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج١٩: ص٣٤٦، ص ٤٠٣- ٤٠٤، ص ٣٧٥، ص ٣٧٧

(٢) ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ**، ج٨: ص ٣٢٢.

(٣) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**،ج٥: ص ٢٨٥؛ محمود مقديش. **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تحقيق: علي الزواري، محمد محفوظ (بيروت – لبنان، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨ م)، ج١: ص ٣١١.

(٤) سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج١٩، ص ٣٧٥، ص ٣٧٧.

إلى الأعراب، حيث إن الخفارة لم يكن الغاية منها حماية الحجيج، وإنما تحقيق المكاسب المادية، واستمر الحال على ذلك حتى سيطر السلاجقة على الخلافة العباسية حيث قاموا ببعض الإصلاحات والتدابير لتسيير قوافل الحج بأمان وانتظام بعد فترة الانقطاع التي شهدتها، حتى كان عهد السلطان ملكشاه الذي أسقط رسم الخفارة الذي كان يجبى من الحجاج كل عام لتعود مسئولية حماية قواقل الحج إلى السلطة الحاكمة مرة أخرى، وليعود ركب الحج يخرج بانتظام من الكوفة إلى مكة دون أن يعوقه أو يعرقله شيء تحت إشراف مؤسسي وتنظيم دقيق من الإدارة السلجوقية.

وصفوة القول، فإن الخفارة تعد من الإتاوات والمكوس غير المشروعة، التي كانت تجبى بالإكراه من الحجاج، ودون وجه حق لصالح جماعات وعصابات بعينها بغرض اتقاء شرورهم، فلم تكن تخضع لإشراف ورقابة النظام القائم، ولم تكن تدخل إلى بيت مال المسلمين كأحد موارده لتنفق في صالح الرعية، وإنما فرضتها جماعات وعصابات خارجة عن النظام، وإذا كانت الخلافة قد أقرتها وسمحت لتلك الجماعات بجبايتها، فإنها في تلك الفترة لم تكن مطلقة السلطة، وإنما كانت سلطة الخليفة سمية صورية، وإنما السلطة المطلقة كانت في يد المتغلبين على الخلافة، فكانوا هم أصحاب القرار وذوي السلطان المطلق، ولكن ذلك لا يعفي الخليفة من المسئولية باعتباره خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تدبير أمور المسلمين الدينية والدنيوية، فذلك يعد وصمة عار في جبين الخلافة العباسية في تلك الفترة، ونقطة سوداء في سجل تاريخها، دفع ثمنه حجاج بيت الله الحرام من أموالهم وأرواحهم وحرمانهم من أداء فريضة الحج لسنوات كثيرة.

كما أن ما تعرض له الحجاج على طريق الحج يؤكد على أنه لا يمكن لأية دولة أو سلطة أن تدعي لها سلطانًا على الحجاز، وتكون لها الهيمنة والمنعة في أعين المسلمين وكل الناس ما لم تؤمن طريق الحج، فإذا لم تعمل على تأمينه أو لم تستطع لم تكن ولايتها عليها إلا شكلًا من أشكال الضعف والمهانة، سواء كانت الخلافة العباسية في بغداد أو الخلافة الفاطمية في مصر أو القرامطة في البحرين، فكان تأمين طريق الحج أول الواجبات؛ لأن الأراضي المقدسة قبلة العالم الإسلامي كله من أقاصي المشرق من بلاد ما وراء النهر والسند وشمال الهند حتى أقاصي المغرب، فإذا لم تكن الطريق إلى مكة آمنة فإنها تكون وصمة عار في جبين المهيمنين على الطريق، ووصمة عار في جبين كل مسلم لا يسعى جهده في تأمينها وتيسير سبل الحج؛ لذلك توجب على السلطة الحاكمة النظر في أمر القبائل التي تقوم بممارسة قطع الطريق، وجباية الخفارة، فإذا كان

ما تقوم به عن حاجة عوضت عن حاجتها من بيت المال بعد أن تؤخذ عليهم العهود والمواثيق بعدم العودة إلى فعل ذلك مرة أخرى، فإن كانت تفعله عن عمد وهوى في السرقة وحب للأذى فإن أحكام الشرع بأن تقضي على السرقة واللصوص وتؤمن طريق الحج.

خاتمة:

أكدت الدراسة على أن الصراعات وما ينتج عنها من ضعف بعض الأنظمة السياسية تكون سبباً في غياب الأمن والحماية في الطرق البرية المؤدية للحج ولا سيما من الكوفة إلى مكة، حيث كان قطاع الطرق من الأعراب والقرامطة يكمنون للحجاج ويجبون منهم الخفارة، وإلا حُرموا من أداء فريضة الحج وهذا بدوره يؤثر على قوة الدولة وسطوتها.

تبين من خلال الدراسة أنه وقع التنافس بين القرامطة ورؤساء القبائل العربية من ناحية، وبين القبائل العربية وبعضها من ناحية أخرى على طول الطريق على جباية رسوم الخفارة من الحجاج، وقد دفع الحجاج مغبة السياسة العقيمة للخلافة العباسية، وأثر ذلك بالسلب على أداء هذه العبادة وما صاحبها من طقوس دينية.

بينت الروايات التاريخية ما كانت تقوم به بعض القبائل العربية من أعمال القرصنة على طريق الحجاج، مثل: قبيلة طيء، وبني سليم، وبني هلال، وبني المنتفق، وبني خفاجة، والذين تتحدث عنهم الروايات باسم الأعراب أو العرب أو العرب البدو، الذين جبوا الخفارة على طول الطريق من الحجاج، ولم يكونوا يعفون منها عربيًا ولا أعجميًا.

أكدت الدراسة على أن ضعف الخلافة العباسية وإهمال البويهيين لأمر الحج دفع بعض حكام الأقاليم والأمراء والأشراف العلويين إلى الاهتمام بأمره والتكفل بدفع رسم الخفارة للأعراب عوضًا عن الحجاج في كثير من السنوات، مثل بدر بن حسنويه حاكم إقليم الجبال، والسلطان محمود الغزنوي، وبعض أمراء الحج؛ لذلك توجب وضع آليات واضحة لحماية الهُوية، والمقدسات وأداء المناسك بحرية ودون خوف.

جاءت الدراسة موضحة أن الخفارة كانت تجبى من الحجاج على مرأى ومسمع من الخلافة العباسية، بل والأدهى من ذلك والأمرّ أن الخلافة العباسية منحت للقرامطة ولرؤساء بعض القبائل

العربية الشرعية لجباية هذه الخفارة من الحجاج منذ سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م، فعانى الحجاج أشد المعاناة خلال الطريق من قطاع الطرق والمترصدين من القرامطة أو الأعراب الذين تكالبوا على جباية الخفارة، حيث إن سماح الخلافة بجباية هذه الضريبة كان محرضًا على التمادي في جبايتها والمبالغة في تقديرها.

أوضحت الدراسة أن معظم الحوادث التي انتهبت فيها قوافل الحجاج أو التي عاد فيها الحجاج من الطريق مرده إلى امتناع القوافل عن أداء الخفارة إلى سادة القبائل أو استعمال وسائل الحيلة لحرمانهم منها، وربما كان السبب أيضًا مغالاة رؤساء القبائل في مقادير الخفارة.

بينت الدراسة أن حماية الحجيج وأمنهم بعدما كانت مسئولية الخلافة العباسية، فقد تنصلت من هذه المسئولية وألقت بها على عاتق القرامطة والأعراب نظير رسم الخفارة، وعلى ذلك فمن لا يملك ما يدفع من الخفارة حُرم من أداء مناسك الحج، فتحول الحج إلى مصلحة اقتصادية ربحية لمن يتولى خفارتهم مقابل مبلغ الخفارة الذي كان يجبى من الحجيج، وهذا الأمر يؤكد نتيجة مؤداها أن الضعف والوهن جعل الخلافة تتنازل عن دورها المنوط بها القيام به.

أثبتت الدراسة أن التكفل والتطوع بدفع الخفارة عوضًا عن الحجاج لم يكن الحل الأمثل للأزمة، وإنما كان لابد من اجتثاثها من الجذور، والقضاء على مسبباتها، وتأديب القبائل العربية الخارجة على النظام، وذلك يتطلب صحوة الخلافة العباسية، وتغيير نظام الحكم القائم المتمثل في المتغلبين عليها؛ لإيجاد حلول غير تقليدية تتوافق مع المتطلبات والمتغيرات السياسية.

أوضحت الدراسة أنه رغم ما كان يعاني منه الحجيج على طول الطريق من الخفارة وما يتعرضون له من الشر والأذى سواء من القرامطة أو من الأعراب، إلا أن ذلك لم يمنع الناس من الإقبال على الموسم والتوجه إلى الحج في سنوات غير قليلة، وذلك على الرغم من أنهم لم يفلحوا في كثير منها من الجواز إلى مكة رغم توجههم، فلا المسلمون يمتنعون ولا الأشرار يتوبون، وهذا يؤكد على حقيقة مؤداها أن التمسك بالعقيدة الصحيحة وإقامة الشعائر الدينية لا يمنعه مانع.

التوصيات:

توصي الدراسة:

- بضرورة إخراج عدد من الدراسات عن رحلات الحج من الأقاليم المختلفة إلى مكة خلال العصر الإسلامي، وقراءة القوة السياسية للدولة والمهارة الإدارية من خلال رعاية أو إهمال هذه الطرق.
- يجب أن تسعى الدول جاهدة للحفاظ على حرية الشعائر والعبادات والعمل على استمراريتها حفاظًا على الهوية الدينية والثقافية.
- الإبداع وإيجاد حلول بديلة أمر غاية في الأهمية في إدارة الأزمات والبعد عن النمطية في التفكير.

-الملاحق

١- خريطة توضح مسارات طرق الحج التاريخية البصري والكوفي والشامي والمصري

وليد بن سعد الزامل وعبد الرازق ثابت محمد. **تتبع درب زبيدة التاريخي من الكوفة إلى مكة المكرمة باستخدام نظم المعلومات الجغرافية**، مجلة العمارة والتخطيط، م٣٣(١)، الرياض، (٢٠٢١م)، ص ٥٧.

٢- خريطة طريق الكوفة- مكة أو (درب زبيدة)

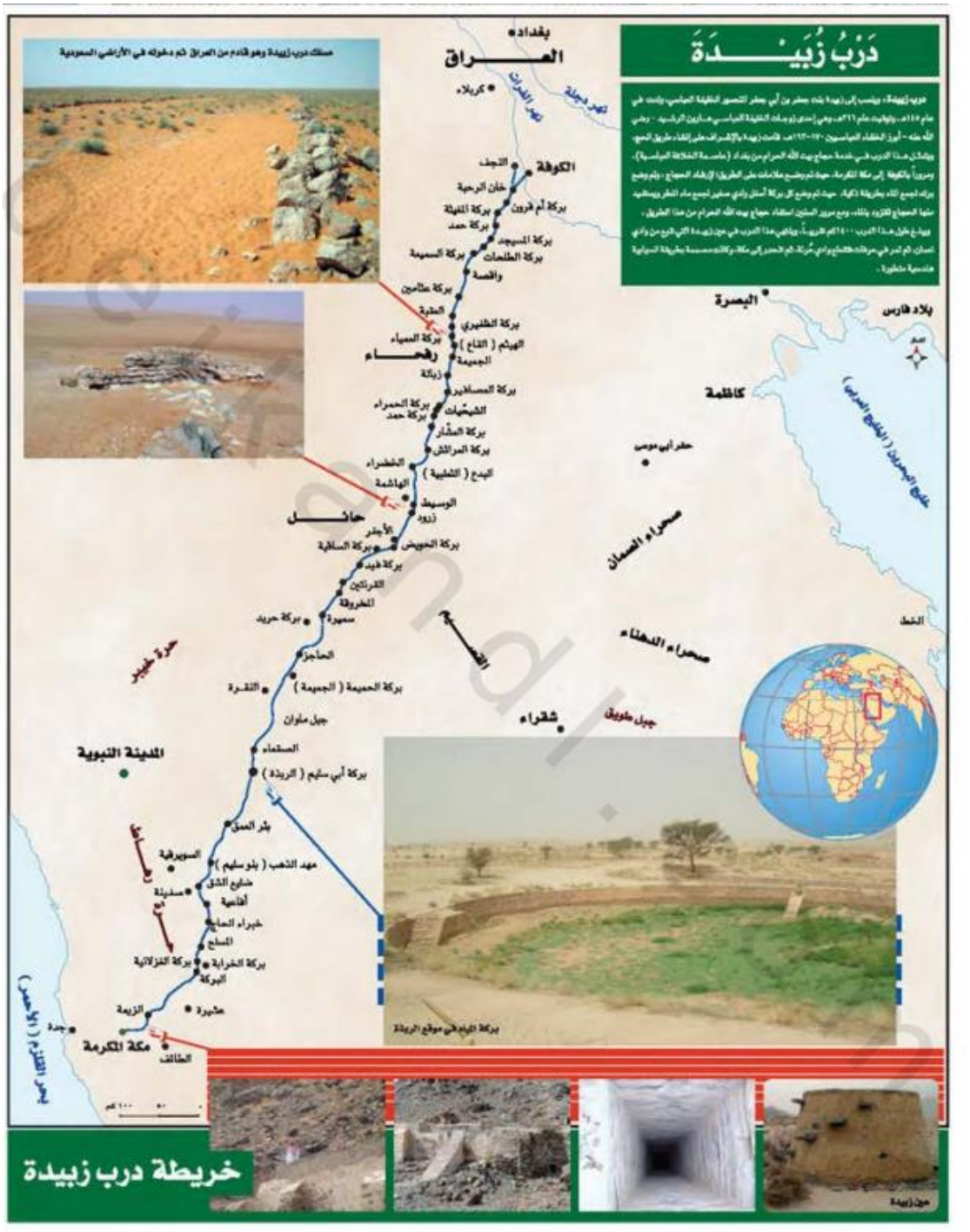

سامي بن عبد الله بن أحمد الملغوث، **أطلس الحج والعمرة "تأريخاً وفقهاً"، ط٢** (الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠١٤م)، ص ١٠١.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر

١. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، (ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م). **الكامل في التاريخ.** تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م.

٢. الأنطاكي، بحيى بن سعيد بن يحيى (ت: ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م). **تاريخ الأنطاكي" المعروف بصلة تاريخ أوتيخا".** حققه وصحح فهارسه: عمر عبد السلام تدمري. طرابلس – لبنان: جروس برس، ١٩٩٠م.

٣. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي، (ت:٨٧٤هـ /١٤٧٠م). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.** قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.

٤. تقي الدين الفاسي، محمد بن أحمد بن علي أبو الطيب المكي الحسني (ت: ٨٣٢هـ/١٤٢٨م). **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام.** بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.

٥. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ/١٣٢٧م). **كتاب السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية.** المملكة العربية السعودية: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٩٩٧م.

٦. ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي، (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م). **رحلة ابن جبير.** بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، د.ت.

٧. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك.** تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢ م.

٨. ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (ت: ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م). **تفسير القرآن العظيم،** المحقق: أسعد محمد الطيب، ط٣. المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٩٩٨م.

٩. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري (ت :٤٥٦هـ/١٠٦٣م). **جمهرة أنساب العرب.** تحقيق: لجنة من العلماء. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م.

١٠. الحطاب الرُّعيني، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي المالكي (ت: ٩٥٤هـ/١٥٤٧م). **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل،** ط٣. د.م: دار الفكر، ١٩٩٢م.

١١. الحربي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق (ت: ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)، **كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة،** تحقيق: حمد الجاسر. لرياض: دار اليمامة، ١٩٦٩م.

١٢. ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف (ت: ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م). **المسالك والممالك**. بيروت: دار صادر أفست ليدن، ١٨٨٩ م
١٣. **ابن خلدون**، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت: ٨٠٨ / ١٤٠٥- ١٤٠٦م). **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**. ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل حشاده، مراجعة: سهيل زكار. بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٨١م.
١٤. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ/١٢٤٣م). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. المحقق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، ١٩٧٧م.
١٥. ابن دحية الكلبي، أبي الخطاب عمر بن أبي علي حسن بن علي، (ت: ٦٣٣هـ/١٢٣٥م)، **النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس**، صححه وعلق عليه: عباس العزاوي، بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٤٦م.
١٦. ابن الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (تاريخ مولده ووفاته غير معروف). كنز **الدرر وجامع الغرر**. تحقيق: صلاح الدين المنجد. بيروت: عيسى البابي الحلبي،٩٦١ م.
١٧. الذهبي، شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م). **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**. تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف. د.م: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣ **م.**
١٨. - - - - - -. العبر **في خبر من غبر.** تحقيق: صلاح الدين المنجد. الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٦م.
١٩. سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأُوغلي بن عبد الله (ت: ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦م). **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**. تحقيق وتعليق: زاهر إسحق وفادي المغربي وعمار ريحاوي. دمشق - سوريا: دار الرسالة العالمية، ٢٠١٣ م.
٢٠. ابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون الملقب بصلاح الدين (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م). **فوات الوفيات**. المحقق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، ١٩٧٣م.
٢١.الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد الموسوي (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م). **الناصريات**، تحقيق: مركز البحوث والدراسات العلمية. طهران - إيران: مؤسسة الهدى، ١٩٩٧م.
٢٢.الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م). **الوافي بالوفيات.** المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠٠م.
٢٣. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م). **تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري وصلة تاريخ الطبري** لعريب بن سعد القرطبي (ت: ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م). ط٢. بيروت: دار التراث - بيروت، ١٩٦٧م.

٢٤. عبد القادر الجزيري الحنبلي، عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد الأنصاري (ت: ٩٧٧هـ/١٥٦٩م). **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**. تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل. بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠٠٢م.
٢٥. ابن عبد الملك، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي (ت: ١١١١هـ/١٦٩٩م). **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**. تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م
٢٦. ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد العَكري أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط. دمشق – بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٦ م.

٢٧. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت: ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م). **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط٢. القاهرة: دار الكتب المصرية ،١٩٦٤م.
٢٨. القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القاهري (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م). **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
٢٩. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م). **البداية والنهاية**. تحقيق: على شيري. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨ م.

٣٠. الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت: ٣٥٠هـ/ ٩٦١م). **كتاب الولاة وكتاب القضاة**. تهذيب وتصحيح فت كست. د.م: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨م.
٣١. مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت: ٤٢١هـ/١٠٣٠م). **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**. تحقيق: أبو القاسم إمامي. ط٣. سروش- طهران: ٢٠٠٠م.
٣٢. المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري (ت: ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م). **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**. بيروت، دار صادر، د.ت
٣٣. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت: ٧١١هـ/ ١٣١١م). **لسان العرب**. بيروت: دار صادر، د.ت.
٣٤. نجم الدين عمر بن فهد، محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمي المكي (ت: ٨٨٥هـ/١٤٨٠م). **اتحاف الورى بأخبار أم القرى**. تحقيق: فهيم محمد شلتوت. ط٣. القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠٥م.
٣٥. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري (ت: ٧٣٣هـ/١٣٣٢م). **نهاية الأرب في فنون الأدب**. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٢م.
٣٦. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي، (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م). **معجم البلدان**. ط٢. بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م.

ثانيًا: المراجع العربية

٣٧. أحمد محمد عدوان. **موجز في تاريخ دويلات المشرق الإسلامي**. الرياض: دار عالم الكتب، ١٩٩٠م.

٣٨. أحمد مختار عمر. **معجم اللغة العربية المعاصرة**. القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨م.
٣٩. جواد علي. **المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام.** ط٤. د.م، دار الساقي، ٢٠٠١م.
٤٠. خير الدين بن محمود الزركلي، **الأعلام.** ط١٥. بيروت: دار العلم للملايين،٢٠٠٢ م.
٤١. رينهات بيتر آن دُوزي. **تكملة المعاجم العربية**، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد سليم النعَيمي. الجمهورية العراقية: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٠م.
٤٢. سامي بن عبد الله بن أحمد الملغوث، **أطلس الحج والعمرة "تأريخاً وفقهاً"**، ط٢. الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠١٤م.
٤٣. عارف مرضي الفتح. **الايجاز في تاريخ البصرة والإحساء ونجد والحجاز**. الكويت: مكتبة الكويت الوطنية، ٢٠٠٩م.
٤٤. عبد الهادي الربيعي. **عشائر المنتفق**، سلسلة القبائل العربية في العراق (١٤)، ٢٠١١م.
٤٥. عرفان محمد حمور. **مواسم العرب– المواسم الثقافية، والتجارية، والدينية، والطبيعية**. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م.
٤٦. عمر علي – دي – أُونثاغا. **قلاع العقل دراسات إسماعيلية وإسلامية تكريماً لفرهاد دفتري**. بيروت: دار الساقي، ٢٠١٤م.
٤٧. مجمع اللغة العربية. **المعجم الوسيط.** القاهرة: دار الفكر، د.ت.
٤٨. محمد الأمين بن عبد الله الأرمي الهرري العلوي الشافعي. **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**. إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي. بيروت - لبنان: دار طوق النجاة، ٢٠٠١ م.
٤٩. محمود مقديش. **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**. تحقيق: علي الزواري، محمد محفوظ. بيروت – لبنان، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨ م.
٥٠. **الموسوعة الفقهية**، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط٢. الكويت: ذات السلاسل، ١٩٩٠م.

ثالثًا: الدوريات العلمية

٥١. إبراهيم علي السيد القلا."**بنو الجراح في فلسطين خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين= العاشر والحادي عشر الميلاديين**". مجلة المؤرخ العربي- اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، ع ١٥ (٢٠٠٧م).
٥٢. أمل بنت صالح الشمراني. **"الأمير أبو النجم ناصر الدولة بدر واصلاحاته الداخلية (٣٦٩-٤٠٥هـ:٩٧٩- ١٠١٤م"**. مجلة عصور، مج ١٩، ع١(٢٠٢٠م).
٥٣. جواد كاظم النصر الله وانتصار عدنان العواد. **"معوقات الحج إلى بيت الله الحرام في العصور الإسلامية"**. مجلة كلية التربية - جامعة واسط، ع٢٨ (د.ت).
٥٤. ريم بنت فهد السايح." **جهود الخلفاء العباسيين وأتباعهم في خدمة طرق الحج العراقية وتطويرها (١٣٢- ٦٥٦هـ/ ٧٤٩- ١٢٥٨م"**. مجلة العلوم العربية والإنسانية- جامعة القصيم، مج١١، ع٢(٢٠١٧م).

٥٥. سامي الصقار. **درب زبيدة أبرز طرق الحج في التاريخ** (٢). مجلة هدي الإسلام، مج ٥٠، ع ١٠(٢٠٠٧م).
٥٦.سليمان بن عبد الغني مالكي. **"طريق ركب الحج العراقي من الكوفة إلى مكة من الفتح الإسلامي حتى سقوط بغداد"**. مجلة الدارة- دارة الملك عبد العزيز، مج٩، ع٢ (١٩٨٣م).
٥٧. صباح جاسم حمد، **"دور قبيلة خفاجة في العراق في القرنين الخامس والسادس الهجريين"**. مجلة الجامعة العراقية، العدد(٥٠ج٣)، د.ت.
٥٨. عامر عجاج حميد. **"القوافل بين أمل الوصول وخوق اللصوص"**. مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية. مج٩، ع٢ (٢٠١٩م).

٥٩. عبد الكريم جلول. **"نوازل المكس"**. المجلة العربية للنشر، ع٢٩(٢٠٢١م).
٦٠. عبد الله محمود حسين. **"طرق الحج عبر العصور"**. مجلة التضامن الإسلامي- الناشر وزارة الحج، س٤٩، ج١(١٩٩٣م).
٦١. نزار عزيز حبيب الخاقاني. **"الإجراءات الأمنية للخلافة العباسية لتأمين طريق العاصمة مكة المكرمة ١٣٢- ٣٣٤هـ"**. مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية-جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الإنسانية، مج ٤١ , ع ١(٢٠١٦م).

٦٢. نصر عبد المهدي معوض عبد الفتاح. **"الإدارة السلجوقية في العراق في عصر سلاطين السلاجقة العظام، عميد العراق أنموذجًا (٤٤٧- ٥٥٢هـ/ ١٠٥٥- ١١٥٧م"**. مجلة كلية الآداب – جامعة بنها، ع ٥٣(٢٠٢٠).
٦٣. وليد بن سعد الزامل وعبد الرازق ثابت محمد. **تتبع درب زبيدة التاريخي من الكوفة إلى مكة المكرمة باستخدام نظم المعلومات الجغرافية**، مجلة العمارة والتخطيط، م٣٣(١)، الرياض، (٢٠٢١م).

رابعًا: المراجع الأجنبية

64.Brett, Michael. *"**Egypt.**"* in the New Cambridge History of Islam: The Formation of the Islamic World Sixth to Eleventh Centuries. Edited by Chase F. Robinson. Vol.1. Cambridge: Cambridge University Press. 2011
65.Elhibri, Tayeb. *"**The Empire in Iraq, 763 -861.**"* in The New Cambridge History of Islam: The Formation of the Islamic World Sixth to Eleventh Centuries**,** edited by Chase F. Robinson. Vol.1, Cambridge: Cambridge University Press, 2011
66.Humphreys, R. Stephen**. "*Syria.*"** in The New Cambridge History of Islam: The Formation of the Islamic World Sixth to Eleventh Centuries. Edited by Chase F. Robinson. Vol.1, Cambridge: Cambridge University Press, 2011.
67.Kennedy, Hugh. *"**The Late Abbasid Pattern, 945- 1050.**"* in The New Cambridge History of Islam: The Formation of the Islamic

World Sixth to Eleventh Centuries, edited by Chase F. Robinson. vol.1, Cambridge: Cambridge University Press, 2011.

68. Marcus Millwright, ***"Archaeology and material culture***," in the New Cambridge History of Islam: The Formation of the Islamic World Sixth to Eleventh Centuries. Edited by Chase F. Robinson. Vol.1. Cambridge: Cambridge University Press, 2011

69. Tasseron, Ella Landau. *"**Arabia**."* in the New Cambridge History of Islam: The Formation of the Islamic World Sixth to Eleventh Centuries. Edited by Chase F. Robinson. Vol.1. Cambridge: Cambridge University Press, 2011.